

# الأكراد في المسألة العراقية

حلقة نقاش في المركز الأردني للدراسات والمعلومات \*

## الأكراد ومستقبل العراق

افتتح السيد بلال حسن التل مدير المركز الأردني للدراسات والمعلومات حلقة النقاش بالكلمة الآتية:

أيها الاخوة أسعدتم مساءً. أصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي في المركز الأردني للدراسات والمعلومات، ارحب بكم في هذا المساء الذي نلتقي فيه لنستمع إلى بعض شجون امتنا وأحزاننا والتي يجسدها الجرح العراقي النازف في خاصرة امتنا، ولقد استضفنا للحديث حول واحدة من تجليات المسألة العراقية والممثلة في المشكلة الكردية، واحداً من ابرز أبناء العراق المنغمسين في التفاصيل اليومية للتطورات فيه، فالأستاذ سعد البزاز ليس مجرد صحفي أو كاتب يكتفي بدور الشاهد، بل هو أيضاً من الذين يشاركون في صنع الحدث، وقد مكنته المواقع التي شغلها من أن يطلع على الكثير من الأسرار والوثائق والخبايا، فقد تولى الأستاذ سعد البزاز رئاسة تحرير جريدة الجمهورية في العراق مثلما شغل موقع مدير عام وكالة الأنباء العراقية ورئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون و عمل كذلك بالسلك الدبلوماسي العراقي ثم اختار أن يعيش خارج بلده منذ عام 1992 وهو الآن يحاضر في عدد من الجامعات ويدير مركزاً للأبحاث وقد أصدر عدداً كبيراً من الكتب الهامة حول المسألة العراقية وفي الشؤون العربية ، وسيحدثنا هذا المساء عن الأكراد في المسألة العراقية.. معطيات الحاضر واحتمالات المستقبل، فأهلاً وسهلاً بالضيف الكريم .

\* بدءاً لا يسعني إلا أن أشكر الأستاذ بلال التل على دعوته لي للحديث هذه الليلة وعلى هذا التقديم الذي غمرني فيه بلطفه، وأشعر بمسؤولية كبيرة في الحديث أمام هذه الشخصيات المرموقة، وتكبر المسؤولية عندما يتعلق الأمر بمعالجة معضلة راهنة ما زالت تتدفق بتفاعلاتها، وما زالت نهاياتها غير واضحة، وتعد من الموضوعات الإسفنجية القابلة لان تصغر ولان تتضخم على مقدار تفاعل عوامل محلية وإقليمية ودولية. قد يكون من الأفضل أن نبدأ بمعالجة موضوعه الأكراد في الوضع الراهن. فلستم بحاجة إلى عرض تاريخي لجذور المشكلة الكردية في العراق وإيران

وتركيا وسوريا، إذ لا بد وأن لديكم خلفية واسعة عن هذه المعضلة وتشعباتها، لكننا الآن أمام متغير نشأ عن آخر صفحات الصراع على العراق وعلى المنطقة، منذ أن دخلت القوات العراقية مجدداً إلى جزء من التراب العراقي في مدينة أربيل وساعدت طرفاً كردياً ضد طرف آخر، وثبتت وضعاً سياسياً جديداً في منطقة كردستان، هذا الوضع ترتب عليه رفع الحصار الذي كانت الحكومة العراقية قد فرضته منذ فشلت المفاوضات مع الجبهة الكردستانية التي كانت تجمع ثمانية من الأحزاب الكردية في الشهر الثامن من عام 1991. ونشأ عن هذا الوضع الجديد أيضاً تلاشي وجود المعارضة العراقية – العربية التي كانت تتخذ من كردستان ساحة للعمل تحت شعارات إسقاط نظام الحكم في العراق.

كما أدى الوضع الجديد في كردستان إلى غلبة طرف كردي واحد على حساب طرف كردي آخر ومجموعة من الأحزاب الكردية الثانوية، ولأول مرة في كردستان كان هناك بعضاً من الوقت سيد كردي واحد في أكثر من ثلثي كردستان ممثلاً بالسيد مسعود البارزاني، ناهيك عن أن الوضع على الأرض في كردستان قد ادخل العامل التركي بخطوة متقدمة جديدة، مع أن العامل التركي كان موجوداً وقائماً منذ مطلع الثمانينات عندما وقّعت الحكومتان العراقية التركية عام 1983 على واحدة من أكثر الاتفاقات الأمنية والعسكرية تشعباً بحيث تتيح لكلا الدولتين أن تتوغل حتى عمق 17 كيلومتراً في أراضي الطرف الآخر لملاحقة المتمردين والخارجين على القانون، ويقصد بذلك الحركات الكردية التركية والعراقية عندما تتخذ من العمق الجغرافي للبلد المقابل ملاذاً لها وساحة للحركة والعمل. فالعامل التركي موجود وقائم سواء كان بإطاره العسكري أو بإطاره القانوني الذي مثلته اتفاقية 1983 أو بالجهد الاستخباري الهائل الذي كان ولا يزال للأتراك في شمال العراق حيث توجد أيضاً الأقلية التركمانية التي يسعى السياسيون الأتراك على الدوام لفرض الوصاية عليها واستخدامها كعامل مؤثر في السياسة الداخلية للعراق.

أمّا الآن فقد اتخذ الموقف التركي شكلاً جديداً، وطرح لأول مرة مشروع منطقة آمنة في الشريط الحدودي الذي جرى التراجع عنه تكتيكياً بقصد استخدام وسائل أخرى في بسط النفوذ ومواجهة حزب العمال الكردي التركي .. أو العودة لترويج مشروع الشريط الآمن في مرحلة تالية .. من جهة أخرى أدى الوضع الناشئ في كردستان إلى تراجع النفوذ الإيراني، وهو تراجع مرحلي ومؤقت، لأن هذا النفوذ كان دائماً في حالة المد والجزر على مدى أكثر من خمسة عقود. ولا يعود الأمر إلى الشاه (محمد رضا بهلوي) بل يعود إلى (قهوم السلطنة) وظروف قيام جمهورية (مهاباد) الكردية سنة 1946.

فالعامل الإيراني الآن هو في حالة تراجع مؤقت، واعتقد أن هذا التراجع والانسحاب ناشئ عن إدراك القيادة الإيرانية للمخاطر التي كانت تهددها عندما انفجرت المعركة العسكرية الجديدة في كردستان، إذ تحاشت أن تُستدرج إلى صدام عسكري مباشر مع القوات العراقية وكانت هناك قناعة لدى الإيرانيين بأن الولايات المتحدة ستتعامل بكثير من الرضا مع أي صدام عسكري عراقي – إيراني كان يمكن أن يقع على أرض كردستان ليؤدي إلى استنفاد القدرتين العسكريتين لكل من إيران والعراق. وربما يكون ذلك هو السبب الذي يفسر السرعة التي انسحب بها الإيرانيون وتراجعوا عن تقديم أي دعم للاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة السيد جلال الطالباني برغم أنهم كانوا يوفرون دعماً عسكرياً محدوداً له في المرحلة السابقة لهذا التطور العسكري.

أنتم تعرفون بأن الإيرانيين دعموا جميع الفرقاء للحركة الكردية، دعموا إدريس البارزاني، وساندوا قبل ذلك الملا مصطفى البارزاني، وتعاونوا مع جلال الطالباني وانقلبوا عليه مرات عدة، دعموا مسعود وتخلوا عنه مرات ومرات .. تعاملوا بعضاً من الوقت مع الحركة الإسلامية الكردية بزعامة الشيخ عبدالعزيز – وهي حركة تمثل قوة ثالثة فاعلة في كردستان إلى جانب قوى وسطية أخرى مثل حزب المحافظين وجمعية العشائر الكردية، هذه القوى كان يمكن أن تسهم في تنظيم العلاقة بين الطرفين القويين اللذين تسيّدوا على كردستان –، هناك أيضاً حزب الله الكردي وهو إحدى المنتجات الإيرانية أصلاً .. وهكذا نرى أن إيران موجودة على الخط الكردي، على أرض كردستان لاعتبارات أمنية واعتباراتها الاستراتيجية أيضاً وليس بين كل هذه الاعتبارات أي دافع لإنصاف القضية القومية للأكراد ولا مطالبهم في الحصول على حقوقهم التي تنكر عليهم في إيران من أصلها ..

غير أن الموقف السياسي بات يتطور بطريقة سريعة ومثيرة بعد اجتماع مسعود البارزاني مع وكيل الخارجية الأمريكي روبرت بللنرو في أنقرة، وهذا يعني أن عنصراً جديداً قد دخل على المسألة وهو نشوء وضع في كردستان لا يتمتع بإطار قانوني معترف به أو موقع عليه من الحكومة العراقية إلى جانب تحالف سياسي في المرحلة الراهنة مع الحكومة المركزية دون وجود إطار قانوني ينظم هذا التحالف، فلا هو حكم ذاتي مقنن بموجب اتفاقات حكم ذاتي ولا هي صيغة فيدرالية مقننة للاتحاد بين منطقة كردستان وبقية أنحاء العراق ولا هي خطوة في اتجاه إعلان دولة مستقلة، وهذا مستحيل ومستبعد في الوقت الحاضر. إذن هناك جزء من العراق انفتح على بقية البلاد لكنه يتمتع بإدارته المستقلة و نموذج في (الديمقراطية) – مع

التحفظ على هذه الديمقراطية – لكنها في كل الأحوال تختلف عن طبيعة النظام (الشمولي) في بغداد. هذا الجزء يتمتع بوضع أمني مستقل ويعيش حالة إحتراب مزمنة ولا صلة لجهازه الأمني والعسكري بالدولة المركزية، وقد قال مسعود البارزاني بعد استعادة (أربيل) إنه سيعمل على بناء جيش كردستان وإقامة علاقات حسن جوار مع الدول المجاورة، إذن فإن وجود جيش، ووجود علاقات حسن جوار مع الدول المجاورة يعني القفز على صيغ الحكم الذاتي التقليدية والتي كانت دائماً تذهب إلى الاعتراف للأكراد بالحقوق الثقافية والقومية وحق الإدارة المحلية وانتخاب مجلس تشريعي ضمن وحدة الدولة العراقية، على أن توكل السياسة الخارجية إلى الدولة المركزية وعلى أن يكون هناك جيش واحد بخلاف وضع السلطة المحلية التي تدير الأوضاع داخل المدن والقصبات والقرى الكردية. إذن هناك وضع لا يمكن أن يستمر، وضع يمثل حالة شاذة، زعيم الحزب السياسي في كردستان يجتمع بوكيل خارجية الدولة العظمى التي هي في حالة صراع مع الدولة المركزية في بغداد .. عدا عن المكاسب التي حصل عليها السيد مسعود لم تكن لتصبح نهائية وثابتة بعد أن استعاد السيد جلال بعض المواقع واستعد لفرض واقع سياسي جديد من هذه المفارقة ينبغي أن نطلق العنان للاحتمالات في محاور عدة :

1. الوضع السياسي في العراق وصلته بالقضية الكردية.
  2. مستقبل التعامل مع المسألة الكردية، وكيف ستؤول العلاقة بين منطقة كردستان والحكومة المركزية، فيما يتعلق بالوضع السياسي الراهن في العراق.
- الحقيقة كان هناك انقطاع صلة بين كردستان وبقية العراق، كانت كردستان ساحة لعمل المعارضين من جهة، وأصبحت ساحة للعمل الاستخباري المباشر للإسرائيليين والأمريكان والبريطانيين والسوريين والأترك والروس والإيرانيين .. من جهة أخرى.
- حتى ثروات كردستان كانت مشاعة أمام الشركات التي جاءت لتوقع عقوداً مع أشخاص (ما) سمحوا لهم بالبحث عن اليورانيوم في تراب العراق، ولم تكن هناك اتفاقيات منظمة بين هذه الشركات وبين حكومة (ما)، أو مع أية سلطة، أي سلطة مجازة قانوناً أو تتخذ شرعيتها من صناديق الاقتراع، من دستور، من نظام ما لدولة أو لحكم محلي، من اتفاق بين جزء من البلاد والحكومة المركزية .. لقد كانت اتفاقات شفوية مع لوردات الحرب وفرسان الاقتتال الأخوي بين الكرد أنفسهم .
- كان الوضع في كردستان هو أحد نتائج الهزيمة في حرب الخليج، التي رتبت آثاراً سياسية ثلثت سيادة العراق وأخلت بوحدة بنيته السياسية والترابية، كما أن من بين النتائج فرض سلسلة من شروط الإذعان على العراق بما في ذلك الرسم الجديد للحدود والذي تجاوز الوضع الذي كان قائماً عشية الثاني من آب 1990 يوم عبرت القوات العراقية إلى الكويت.
- وقد استسلمت الحكومة العراقية لجميع شروط الإذعان وارتضت بقبول الصفقة سيئة الصيت التي وقعها اندريه كوزيريف وانتزع الموافقة عليها من الرئيس ومن المجلس الوطني العراقي. ومن النتائج المذلة للهزيمة في الحرب أيضاً فتح سماء العراق لمناطق محظورة على الطيران العراقي في الشمال والجنوب، وهذه أيضاً إجراءات تنتقص من السيادة. وتجاوز الأسلوب الذي عملت به لجان التفيتيش في العراق مسألة البحث عن الأسلحة لتصبح عملياتها مخلة بسيادة الدولة العراقية ونموذجها للدولة الشمولية، الفرد فيها هو الذي يملك السلطة، وكان اعتاد أن يجعل من الهيئة المعنوية نصف طاقة الحكم أو نصف مصدر القوة، غير أن هذه الهيئة المعنوية قد ثلّمت مرات كثيرة في سلسلة من المواقف أفضل شخصياً عدم الإشارة إليها، لأنها تحز في النفس، فلا توجد أسلحة كيميائية وجرثومية في منازل وبيوت الراحة للأشخاص، ولم يخلُ الدخول إلى حرمت فردية أم جماعية من التجريح بكرامة المجتمع كله.
- وأمام سلسلة من شروط الإذعان، كانت هناك نزعة مقاومة هشة من قبل الحكومة العراقية في رفض القرارات فقد اعتدنا أن نراها تلون بالاستسلام بعد المقاومة ، بالعكس ففي بعض الأحيان تصور الرضوخ للقرارات وكأنه استجابة إلى مطمح وطني، أو انه عمل وطني كبير تحتفل به. فالقرار الذي يُدان اليوم يُقبل في المرحلة التالية وكأنه إنجاز وطني كبير بعد أن تكون الحكومة قد أطلقت على قرارات مجلس الأمن شتى النعوت التي تصفها بأنها اعتداء على السيادة، وأنها تعبير عن فرض إرادة الولايات المتحدة على العراق بالقوة، إلا أنها كانت تعود فتقبلها في المرحلة التالية وتتعامل معها وكأنها مكسب، وكان هناك خروج من ماء بارد إلى ماء ساخن ومن ماء مغلي إلى ماء متجمد، يلقي فيه الجمهور المستلب ويدفع ثمن الموقفين من خبزه وصحته وحقه في دولة ليس فيها للجمهور أو ممثليه دور في صنع القرارات التي تتعلق بمصائر البلاد.

وأظن أن الرئيس صدام حسين بخبرته الواسعة في الشؤون الداخلية، يدرك جيداً أن البقاء في الحكم هو الأولوية المطلقة، وهو أمر لا يمكن أن يتأتى دون التخلص من آثار الهزيمة في حرب الخليج، إنزّل لا يجوز أن تحكم جزءاً من العراق وتبسط نفوذك عليه في حين أن جزءاً آخر منه تحت نفوذ القوى الدولية، وجزء آخر تحت نفوذ إيران ... وسماؤك في أكثر من ثلثها مغطاة بطيران من قوى دولية وجزء من ترابك مستلب .. هذا وضع شاذ .. وهذه محنة وطن .

أذكركم بموقف سابق كنت قد أشرتُ إليه في إحدى المرات .. فقد وقّع الرئيس صدام حسين شخصياً في عام 1975 على اتفاقية آذار مع شاه إيران في الجزائر وبموجب تلك الاتفاقية رفع شاه إيران دعمه السياسي والعسكري للحركة الكردية بقيادة مصطفى البارزاني في شمال العراق مقابل تنازل العراق عن حقوقه في نصف شط العرب، .. غير أن الرئيس صدام الذي تنازل عن شط العرب للشاه ظل يشعر بالمسؤولية الشخصية عن الالتزام الذي وقع عليه في آذار 1975 في الجزائر، واعتقد أن ما حدث عام 1980، عندما ارتضى خيار الحرب بعد الاستفزازات والتحديات الإيرانية .. (وأظن أن الإيرانيين لن يفهموا من قولي انهم كانوا أبرياء أو أن العراق شن الحرب عليهم أو انهم لم يكونوا بصدد بسط نفوذهم على المنطقة وطرح برنامج نحن في غنى للحدوث عنه الآن ..) أقول إن الاستجابة لخيار الحرب مع إيران، كان النتيجة المباشرة لما وقّع عليه الرئيس صدام من شروط إذعان سنة 1975 .. ولذلك فإن الأمر متشابه اليوم .. لقد وقع على سلسلة من شروط الاستسلام سيعمل ما بقي في الحياة على التخلص منها لأنه يعرف جيداً، بعيداً عن الشعارات، وعن الطبول التي تقول إننا انتصرنا في الحرب وفي أم المعارك، يعرف بعيداً عن ذلك كله أن البقاء يساوي التخلص من آثار الهزيمة التي وقّع على قبولها في مرحلة ما .. لذلك كانت العملية العسكرية في أربيل مستجيبة لنزعة التحرر من جزء من آثار الهزيمة .. وتدل المعلومات المتوافرة أمامي أن الخطة كانت جاهزة منذ سنة 1995 وقد أجرت عليها القوات العراقية تمرينات عملية وتركت جاهزة للتنفيذ فور توافر الشروط السياسية للعملية .. وكانت معلومات الجيش العراقي على الدوام انه لا توجد إرادة قتال حقيقية لدى الجانب الآخر .. وان اقتحام أربيل ممكن .. كما أن الفصائل الكردية لم تعد تشعر بجدوى القتال حتى في ما بينها .. ولذلك يجري تسليم المواقع بدون قتال وستتكرر هذه الظاهرة – ضعف إرادة القتال – عندما يعاود السيد جلال الهجوم فيحصل على المواقع بسهولة وينسحب خصومه من أمامه كما انسحب هو بيسر وسرعة من أمام الجيش النظامي. أي أن الكسب دائماً لمن يهاجم أولاً..

وكان في عقل القيادة العراقية أن تكون هذه العملية بداية للتحرك السريع والتلقائي على أساس أن الأحجار ستتوالى في التساقط واحدة تلو الأخرى بمجرد سقوط هذا الحصن في كردستان. إلا أن الدبلوماسية الأمريكية، مع الجهد العسكري الأمريكي منعا القيادة العراقية من بلوغ سلسلة من الأهداف وجمداها في النقطة الحرجة القائمة الآن ..

ثم من ربح .. ومن خسر .. ؟

أولاً: أراد الرئيس صدام حسين أن يتحرر من بعض شروط قرار 986 الذي ينظم حصول العراق على بعض حاجاته من الغذاء والدواء وبعض الأساسيات مقابل بيع كمية من النفط، على أساس أن الشروط التي قبلت بها الحكومة العراقية في مذكرة التفاهم مع الأمم المتحدة كانت قد فرضت في الوضع الذي كان سائداً في كردستان حيث لم تكن توجد صلة بين الحكومة المركزية والإدارة التي كانت تتولى الوضع هناك، وبما أن العلاقات التجارية المباشرة وتنقل الأفراد قد عاد إلى وضعه شبه الطبيعي فقد حان الوقت إذن للتحرر من شروط تطبيق هذا القرار. هنا جرى تعليق هذا الهدف ولم يتمكن العراق من تحسين شروط القرار 986.

ومن نتائج تثبيت الوضع القائم أيضاً أن (صفقة النفط مقابل الغذاء) دخلت في طور التباطؤ والتأخير، ومن الواضح كما قال بعض الخبراء الذين أثق بآرائهم أن النفط العراقي لن يتدفق حتى يمضي وقت على انتهاء الانتخابات الأمريكية، وقد حصل ذلك بعد أن كان العراق في حاجة إلى أسبوعين لمباشرة تطبيق الصفقة لولا بدء العمليات العسكرية في كردستان.

في الوضع القائم أيضاً اتسع مدى حظر الطيران بعد أن كان الرئيس قد أعلن بأنه يلتزم ويتعهد بإسقاط الحظر الجوي في خطي الشمال والجنوب .. لكن الذي حصل هو اتساع مدى خط العرض في الجنوب من الخط 32 إلى الخط 33 ولكي نتحسس خطورة الأمر فإن الخط (33) كسر الجناح الجنوبي للعاصمة التي تحكمها خطة دفاعية تقليدية، تسمى خطة حماية بغداد أو خطة الدفاع عن بغداد، ويفترض في هذه الخطة التحكم بمنافذ بغداد ومخارجها من الشرق والشمال والجنوب والغرب، والقوات العسكرية التي تحمي بغداد في هذه الخطة هي من قوات الحرس والحرس الجمهوري الخاص، وهذه القوات غير موجودة في أحياء المدينة لكنها موجودة في أطراف العاصمة المتسعة أيضاً، فبغداد من المدن النادرة الممتدة أفقياً وقد

جاء خط الطيران الجديد 33 ليكسر الجناح الجنوبي للعاصمة وجناحيه الآخرين في الجنوب الغربي والجنوب الشرقي، وأعتقد أنه كان من حق القيادة العراقية أن تتعامل بعصبية شديدة مع هذا التطور لأنها لا بد أن تكون قد أحست بأن هذا الأمر قد يصبح تمهيداً لعمل ما ربما يحصل في المستقبل .. يوجد جنوب العاصمة عدد مهم من المؤسسات العسكرية والرئاسية الخطيرة وبالغة الحساسية فإذا كان بإمكان طائرات الأمريكان والتحالف أن تنظر إلى بغداد من هذه الزاوية فمعنى ذلك أنها ستمتع بمرونة أعلى في دعم أي عمل قد يقوم في يوم ما ضمن سيناريوهات المستقبل ضد الحكم في العراق .. إذا كانت هناك سيناريوهات من هذا النوع في يوم ما حقاً .. وهذا العمل كما لاحظتم كان مخططاً له، المعركة وقعت في الشمال لكن ردة الفعل الأمريكي كانت في الجنوب، .. فخطورة توسيع هذه الخط ليست اليوم إنما في المستقبل.

وكان من رأي الدبلوماسية الروسية التي سعت إلى تهدئة التوتر بين بغداد وواشنطن أن الولايات المتحدة التي كشفت طيرانها خط الحدود العراقية مع إيران من بلدة (بدره) شمالاً (تقع شرق بغداد) إلى (رأس البيشة) جنوباً (وتقع على رأس الخليج العربي) سيؤدي إلى تحديد قدرة الإيرانيين على التوغل في الأراضي العراقية وحشد قواتهم في المناطق المتاخمة للحدود، غير أن الأمر لم يكن لينتهي عند ذلك الحد، فالولايات المتحدة بعملية الكشف الشاملة هذه تضمن تحييد الإيرانيين ومنع تدخلهم في حالة وقوع تغيير لنظام الحكم في بغداد وما قد ينتج عنه من فراغ دستوري مؤقت .. وفي هذه الحالة، فليس في بال الأمريكان حماية العراق من الإيرانيين في ظل حكم الرئيس صدام ولكن ضمان عدم تمتع الإيرانيين بنفوذ سياسي وعسكري في مرحلة ما بعد هذا الحكم.

كما أن سيناريو استدراج بغداد وطهران للتصادم على أرض كردستان سيظل الخيار الأمريكي المفضل مع وجود إحتراب وتنازع واستقطاب للقوى الكردية المختلفة ..

.. نحن إذن في معركة مفتوحة، ولا توجد نهايات حتى الآن في لجة هذا الصراع على العراق، .. في الخلاصة لم يتمكن العراق من الكسر الفعلي لخطوط العرض المذلة الموجودة في سمائه ولكنه استطاع من الناحية المعنوية أن يتحدى، وأن يطلق قدراً من الوعود التي نرى في النتيجة أنها كرسست الوضع في الاتجاه المعاكس.

يبدو أن الأمور تعود تدريجياً إلى آخر (مربع) كانت الحكومة العراقية فيه قبل معركة كردستان .. فهل يرضى الحكم بعد كل ما جرى إن يعود تدريجياً ليبدأ من الصفر مجدداً .. ؟ وكما مرة ينبغي أن يعود الأمر إلى درجة الصفر .. ؟ هل كان تحريك أربعين ألف جندي من أجل العودة إلى الصفر .. إلى آخر مربع على لوحة الصراع .. ؟

أما بالنسبة للوضع في كردستان، فهناك جزء من العراق فيه صحافة تصدر بلا قانون، تنطق بلسان أحزاب مختلفة بما فيها الأحزاب الصغيرة والدكاكين التي يؤسسها أربعة أو خمسة أشخاص و يصدر كل شهر أو شهرين عدداً من جريدة، وما زالت هناك مراكز إذاعة للمعارضة، ورغم أنها لا تستخدم اليوم، بعد أن انتقل البث إلى أماكن أخرى، لكن المنشآت ما زالت موجودة، باختصار هذه المنطقة الجغرافية من العراق تعيش في وضع سياسي مختلف عن بقية أنحاء العراق حيث توجد دولة الحزب الواحد ودولة الفرد والدولة الشمولية بمواصفاتها المعروفة.

صحيح أن هناك انفتاحاً إقتصادياً وأن هناك ارتياحاً لدى المواطن الكردي بالحصول مجدداً على (الوقود) من بغداد وعودة تبادل السلع وعودة الاختلاط بين الناس، هذا صحيح .. ولكن ما هي النتائج المنتظرة من الدمج بين كتلة (جغرافية) تتمتع بقدر من (الديمقراطية)، من خلال اتفاق جديد للحكم الذاتي أو للفيدرالية وبين حكم ينكر التعددية السياسية لعموم البلاد..

في جانب آخر زاد عدد حاملات الطائرات واحدة على الأقل ولو لبعض الوقت، وزاد عدد الطائرات الأمريكية في المنطقة ، وزاد عدد جنود الجيش الأمريكي الموجود على الدبر الكويتي.

في المقابل، تمتعت القضية العراقية بالتعاطف وأقصد قضية الدفاع عن حرمة العراق ورفض تعريض هذا البلد لعدوان خارجي جديد ووقوع المزيد من التلم لسياسته، وصحيح أن التعاطف الشعبي العربي والدولي مع معاناة الشعب العراقي قد ازداد وتوطدت مشاعر عميقة في العالم العربي ضد العنجهية الأمريكية في التعامل مع العراق، إنما استمر في موازاة ذلك قيدير من العزل الدبلوماسي والسياسي للحكومة العراقية. الانفراجات التي كانت موجودة في علاقة القيادة العراقية مع دولتين كبيرين مثل فرنسا وروسيا ظلت محافظة على القدر نفسه من الانفراج قبل التطور العسكري والسياسي الجديد، والعلاقات التي كانت بين العراق وتركيا استمرت بنفس القدر الذي كانت عليه قبل عملية كردستان كان هناك وفد تركي كبير في بغداد يتألف من وزيرين أحدهما نائب رئيس حزب الرفاه، وكان هناك مشروع لزيارة تقوم بها تانسو تشيلر أيضاً.

بعد هذه المقدمة أريد أن أصل إلى الاستنتاج بأن إنجاز كسر العزلة بين كردستان وبقية العراق كان إنجازاً وطنياً، ولكنه تطور قلق وغير مستقر ولم يؤديه إلى مكاسب سياسية متتالية للتخلص من بقية آثار الهزيمة، لا بل على العكس فإن بعض هذه الآثار قد ازداد سعة وإيلاًماً في بنية العراق. كما أن من المستحيل فرض إرادة طرف واحد من كردستان بوجود ثنائية سياسية متكافئة في القوة والنفوذ.. ولا أعرف لماذا اعتقد الحكم إبان معركة (أربيل) أن وجود طرف واحد في كردستان أفضل من وجود طرفين متنافسين أو أكثر على الساحة الكردية..؟

كيف يمكن أن يكون هناك سيد واحد في منطقة تعيش فيها ثقافتان كرديتان.. وعصبيتان كرديتان تمحورت حولهما تيارات سياسية وحزبية..؟ فالشعب الكردي يتوزع جغرافياً ونفسياً بين نموذجين ثقافيين من بقايا الإمارات الكردية السابقة وهما (البهذانية) و (السورانية) إلى الحد الذي سعى فيه كل من الحزبين المتنافسين لتمثيل هذين التيارين.

والآن نرى أن أهداف اللابيين قد اتضحت من خلال الوضع في كردستان وعلى النحو الآتي :

X بالنسبة للأتراك قفزت إلى واجهة العمل السياسي الأولويات التقليدية وهي : الأمن والاقتصاد .. الأمن عنصر ثابت وذو أولوية مطلقة في السياسة التركية، بغض النظر عن الذي يحكم .. سواء كان حزب الرفاه أم حزب الطريق القويم أم حزب الوطن الأم، فمن الأولويات الثابتة في معالجة مسألة الأمن في جنوب شرق الأناضول حيث ينشط حزب العمال الكردي وحيث يوجد أكثر من اثني عشر مليون كردي إذا لم يكن العدد أكبر من ذلك، لا يتمتعون بحقوقهم القومية ولا بحقوقهم الثقافية وهم يشكلون المعين الهائل لحزب العمال الكردي .

وقد استنزفت هذه الحرب المتسعة في جنوب الأناضول قدرات المؤسسة العسكرية التركية، وهي مؤسسة نافذة في صنع السياسة التركية ولا يستطيع أي رئيس وزراء في تركيا إلا أن يمثل لهذا الهاجس الأمني الذي تؤكده دائماً المؤسسة العسكرية، .. مؤسسة الجنرالات .. فالهاجس الأمني في جنوب شرق الأناضول قد انفتح على كل الاحتمالات، خذ مثلاً عبد الله أوجلان رئيس حزب العمال التركي الذي يلقي دعماً من سوريا وهو نفسه أوجلان المتحالف مع الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة السيد جلال الطالباني، وهو نفسه أوجلان الذي لا يلقي رفضاً من جانب الإيرانيين، إذن تركيا في حاجة إلى معالجة إقليمية معقدة لموضوع العمال الكردي .. وتعرفون أن أربكان حاول أن يقدم حلاً لهذه المعضلة التركية عشية معركة (أربيل)، والفرضية التي يعمل عليها هي أنه لا جدوى من اللهاث التركي للاندماج في الاتحاد الأوربي، وأن الأتراك أضاعوا الكثير في هذه المحاولات وأن العلمانية التركية أضاعت الكثير في سبيل الوصول إلى هذا الهدف، ثم أنه يعتقد أن تركيا حصلت على ما تحتاج إليه من التلاحق مع الصناعة الأوربية والاقتصاد الأوربي وأنها أسست صناعاتها التحويلية والتكميلية التي تستطيع أن تجعل منها مصدراً صناعياً يتفوق في أسواق العالم الإسلامي لكنه غير قادر على التفوق في أسواق أوروبا ومن هنا فقد طرح سلسلة من الحلول بما فيها حل المسألة الأمنية عبر الاتفاق مع إيران والعراق مقابل توسيع المصالح الاقتصادية .. وأوفد مبعوثيه إلى بغداد وذهب هو بنفسه إلى إيران على أساس أنه يستطيع بهذا الحل الافتراضي إرضاء المؤسسة العسكرية فالهدف واحد، وهو تخليص تركيا من هذه المعضلة الأمنية والعسكرية الكبيرة والموجعة، ولكي يتم ذلك لا بد من صفقة اقتصادية وسياسية كبيرة مع إيران والعراق وبالنتيجة لم يستطع الوصول إلى الكثير بسبب سياسية العزلة على إيران من جهة وبسبب التحفظ الأمريكي على اتفاق الغاز الشهير بين تركيا وإيران وبسبب العملية السريعة التي تمت في كردستان والتي فرضت وضعاً جديداً .. وأظهرته بعيداً عن صنع السياسة الخارجية في تركيا ..

الهاجس الآخر لتركيا في التعامل مع العراق ومسألة الأكراد هو الهاجس الاقتصادي، كان ميزان التعامل التجاري العراقي التركي في نهاية سنوات الحرب الإيرانية - العراقية قد وصل إلى ثلاثة مليارات دولار وقد أنجز ذلك على يد توركت أوزال، أما اليوم فإن تركيا موعودة بصفقة المليارين وهي الصفقة التجارية بين العراق وتركيا التي يمكن أن تصل إلى سقف مليارين، وقد طرح الأتراك أن تكون علاقتهم التجارية مع العراق على غرار النموذج الأردني بإستحصال موافقة من لجنة العقوبات في مجلس الأمن على إطلاق التجارة خارج صفقة النفط مقابل الغذاء، وفتح البوابة التركية على العراق كما هو الحال مع البوابة الأردنية ولكن لم تحصل الموافقة على هذا الأمر، وعدم حصول موافقة لا يعني عدم توسيع التجارة إذا ترتب المسار الأمني عبر كردستان ويمكن أن يصل سقف صفقة التجارة إلى 2 مليار وهذا يعني إنقاذ الاقتصاد التركي من الكثير من معضلاته. إذا ما تم للاقتصاد التركي بلوغ هدفه في جعل الجيران سوقاً للبطاعة التركية والتزود بما يحتاج إليه من النفط بسعر محسن وميسر.

هذان الهدفان ما زالوا معلقين .. وأقصد بهما الهاجس الأمني و صفقة المليارين.

إذن تركيا هي الأخرى وضعت أهدافها على الطاولة غير أنها لم تنجز هذه الأهداف ، وستحتاج إلى وقت طويل جداً لبلوغها، وسيكون هناك مصلحة لأكثر من طرف في تعطيل طموحات الأتراك الاقتصادية والسياسية .

بالنسبة للأكراد، فإن الأولوية المطلقة هي الكيان، إنه الهاجس الذي يوحد كل الحركات الكردية، النخبة الكردية، والمثقفين الأكراد، والجمهور الكردي .. الجميع في حالة بحث عن كيان في إطار الدولة العراقية أو خارج إطارها أحياناً، هذا الكيان الآن غير متحقق حيث أن الوضع في كردستان عائم وغير مقنن وغير مؤطر لا إقليمياً ولا دولياً .. ولا وطنياً داخل العراق، إذن فالهاجس الكردي نحو الكيان ما زال معلقاً هو الآخر ..

الشعب الكردي بعد حروب استمرت أكثر من قرنين في العراق وتركيا وإيران هو في حاجة ماسة أكثر من أي شعب آخر للسلام والأمن، فهو من الشعوب التي نذفت نيابة عن الآخرين أكثر مما يجب وبأكثر مما يحتمل ، فهاجس الأمن وهاجس البحث عن استقرار هو هاجس مؤرق لهذا الشعب الذي عانى كثيراً، وقاتل كثيراً وضاعت جهوده سدى لفترة طويلة من الزمن .. وسيظل الأمن والاستقرار غير مضمونين في كردستان حيث ما تزال هناك كتلة كردية ثانية وقوية، تعيد ترتيب أوضاعها ولن تسكت على ما حصل.

الهدف التاريخي الآخر للقضية الكردية، هو المدينة الكردية، فالأكراد بخلاف كل الذي حدث في أفغانستان وباكستان خلال قرنين نجد أن الكثير من الشعوب الآسيوية كانت لديهم الحاضرة المدنية التي تنشأ عليها وحولها المؤسسة الاجتماعية وأنظمة الدولة وتتقن فيها الحياة .. لقد كانت الشعوب تقاتل ضمن نطاق دولة أو كيان .. وبالتالي ضمن إطار الحاضرة المدنية .. أما كردستان فإنها تعيش بلا حواضر، عدا المدن الثلاث الرئيسية وهذه المدن كانت دائماً على صلة بالحكومة المركزية وهي : (أربيل) و(دهوك) و(السليمانية) .. على أن الوضع في العراق يبقى أفضل منه في إيران وتركيا إلى حد كبير. الكردي الذي ذهب إلى أوروبا يتعلم ويتمتع بالتسهيلات التي أعطيت للاجئين الأكراد على مدى العقود الماضية يعود إلى بلده فيرى القرى الكردية تعيش في حالة القرن الماضي .. هذا هو الهاجس التاريخي، هاجس البحث عن الكيان والأمن والاستقرار والحاجة إلى الحواضر المستقرة ، وعندما أتحدث عن الهاجس التاريخي للمدينة، فإنني أقصد بلوغ المدينة كنظام حياتي يكون توأمه في هذه الحالة هي التنمية الاجتماعية والاقتصادية، هكذا نرى أن الأهداف التاريخية الكردية ما زالت معلقة هي الأخرى وربما إلى زمن طويل آخر .. مع استمرار استقطاب القوى الإقليمية والدولية للفصائل الكردية واستمرار الإحتراب بينها ، واستحالة نشوء موقف سياسي كردي موحد ومتماثل ..

أما بالنسبة للقيادة العراقية فإنها ما تزال بعيدة عن بلوغ أهدافها في التحرر من آثار الهزيمة والتخلص من العزل الدبلوماسي والسياسي والتحرر من مناطق الحظر الجوي والتحلل من بعض شروط قرار صفقة النفط مقابل الغذاء و التعامل مع رسم الحدود الجديد وإسقاط الحماية الغربية لكردستان واستعادة السيطرة على كردستان (وهو الهدف غير المتاح حتى الآن على الرغم من النجاح الجزئي الذي كان قد حصل في المرحلة الأولى من معركة (أربيل) .

أما بالنسبة للإدارة الأمريكية وهي اللاعب الرئيس في مقابل هذا كله .. فدعونا نتساءل ما هي الأولويات التي انفتحت أمامها بعد معركة (أربيل) ؟ أولاً : ضمان استخدام العراق كعامل مرجح في الانتخابات الأمريكية.

ثانياً : استعادة التحالف الغربي من التفكك الذي أصابه وتجسد هذا التصدع في الاجتماع الثلاثي لوزراء دفاع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا الذي عقد في لندن مؤخراً، وكان التمايز بين الموقعين الفرنسي الأمريكي واضحاً وبيناً.

ثالثاً : إدامة العزل والحصار على العراق وعدم منح القيادة العراقية فرصة استثمار النصر الجزئي الذي حققته في العمليات العسكرية في كردستان .. بمعنى حصر الموقف وتثبيت المواقع إلى حين .. وعدم تحويل المكاسب العسكرية في (أربيل) إلى مكاسب سياسية كاملة ..

هذه الأهداف هي الأخرى ما زالت معلقة ولم تصل إلى نهايتها في التحقق.

إذن لكل اللاعبين لديهم أهداف معلنّة أو معروفة، وقد فتحت معركة كردستان طريق الأمل للوصول إليها ولكن ما زالت هذه الأهداف غير متحققة لا جزئياً ولا كلياً، وهذا يعني أن هناك صفحات أخرى أكثر تعقيداً في الصراع ستقع في المرحلة التالية.

قد يكون البارزاني طرح نفسه في البداية باعتباره الجسر الصاعد والجسر النازل.

الجسر الصاعد في اتجاه القيادة العراقية لكي يوصل رسالتها إلى روبرت بيللثرو بالقول إن القيادة العراقية مستعدة للدخول في حوار شامل وبدون شروط مع الولايات المتحدة ، وأن بإمكان واشنطن أن تحصل على صداقات قوية في المنطقة بدلاً من صداقاتها الضعيفة في هذا الإقليم من العالم. وأن القيادة العراقية قادرة على التخلي عن مشاعر الكراهية والعداء والرغبة في الانتقام والثأر على خلفية ما حصل في المواجهات السابقة.

للتاريخ فإن هذه الرسالة قد بلغت إلى أمريكا وعلى مستويات مختلفة منذ انتهاء حرب الخليج، وبلغ الأمر أن المسؤولين العراقيين كانوا يبلغونها إلى شخصيات أمريكية من الصف الخامس أو العاشر وخارج منطقة صنع القرار في الولايات المتحدة، كانت تبلغ إلى الصحفيين ورجال أعمال من أصول عربية يأتون لزيارة العراق، أو تبليغ عبر دبلوماسية السجناء الذين كانوا يعبرون الحدود العراقية بطريقة غير مشروعة، فيقومون تحت طائلة القانون العراقي، ثم يُستقدم أحد أعضاء الكونغرس إلى بغداد لكي يحاور هناك، وعندما يعود لا يجد من يستجيب لدعوة الحوار مع القيادة العراقية.

أما الخط الناظر الذي كان السيد مسعود يريد أن يؤديه، فهو أن يعمل على تفتيت الوضع السياسي في العراق من خلال عمل سلمي، غير عسكري، بعد أن فشلت محاولات المخابرات الأمريكية في العراق، وبعد أن فشلت الحلول العسكرية. فحان الوقت لكي يتخذ من هذا اللسان سبيلاً لتفتيت البنية السياسية في العراق، على أساس أن هذه البنية قائمة على النظام الفردي الأحادي، وإذا ما تلقح هذا النظام ببذرة من نموذج سياسي آخر فإن فعالية هذه البذرة بالنسبة إليه هي أشبه ما يكون بلوثة لا يقدر على تحملها، ولا يستطيع نظام شمولي أن يحتمل (لوثة) الديمقراطية. وإذا صار السيد مسعود البارزاني نائباً لرئيس الجمهورية – بموجب الدستور المؤقت للبلاد وبموجب اتفاقات الحكم الذاتي التي جرى التوقيع عليها منذ السبعينات، أو التي جرى التفاوض عليه عام 1991 – فإنه لن يكون نائباً شكلياً لا يعرف ما الذي يجري حوله مثل السيد طه محي الدين معروف، بل سيكون نائب رئيس فعلياً وسيطالب بصنع السياسة الخارجية والداخلية بطريقة متكافئة مع بقية أعضاء القيادة العراقية، لا بل إنه سيعمل على فرض دوره كرجل ثانٍ حقيقي في الدولة العراقية، لأنه يتمتع بحماية دولية وبعلاقات إقليمية ودولية، وبغطاء عسكري وبغطاء عشائري، وبفضية شعبه .. برغم أن عليه أن يحسب الكثير لمنافسه السيد جلال الطالباني الذي سيعرقل الاتفاق مع بغداد أو يشارك فيه بحصة لا تقل عن حصة منافسه سياسياً وعسكرياً ..

ولذلك لن يكون أي من الزعيمين الكرديين في حالة الاسترخاء والارتياح. ولن يتخلى البارزاني، كما أعلن منذ انتهاء عملية كردستان عن نموده المحلي في كردستان، حيث أن كل شيء غير مقنن، مع وجود قدر من الحريات .. والفوضى والإحتراب أيضاً، وعدم وجود ضمانات لمنع معاودة نشاط المعارضة القديمة من كردستان.

إذا بدأ هذا الدم الجديد بالضح في بنية الحكم في العراق فإنه بلا شك سينقل إليه عدوى عمل طويلاً على تحاشي التلقح بها.. كان الرئيس يعيب على شاه إيران أنه لم يتصرف بحكمة في أواخر أيامه، وكذلك كان يعيب على انديرا غاندي أداءها السياسي عندما سقطت في المرحلة الأولى من بروزها في السبعينات، يوم حاولوا – كل في حالته – استرضاء الخصوم وتبديل المنهج .. أي أن لكل بندقية حشوتها ، وإذا استخدم السياسي حشوة مختلفة عن بندقيته فإنه سيفسد البندقية، ولا يصل إلى أهدافه، بل ستنفجر أسلحته بين يديه. ويدرك الرئيس صدام بأن من يختار طريقاً لا يستطيع أن يلحقه بنماذج أخرى .. خاصة إذا كان كل شيء في البلاد قد جرى تصميمه لخدمة آلية نموذج الدولة الأحادية – الشمولية – الفردية.

في معارك من هذا النوع، هناك أطراف تبحث عن دور مثل مصر الدولة العربية الأولى التي يعترف لها بدور من نوع ما، لكن هذا لا يعني أن لمصر دوراً مقبولاً في العراق، هذه هي خلاصة مراحل طويلة من التنافس التقليدي بين الواديين الخصيبين في النيل والرافدين الذي يجعل من الملائم أن لا تفكر مصر بلعب دور في مستقبل العراق، غير أن هناك أوساطاً في مصر تبحث عن دور في لجة الصراع، تناقش الأثر لماذا تفكرون بإقامة منطقة حظر في شمال العراق، مع أن أحداً لم يطلب منهم التدخل، وهم لا يستطيعون أن يمنعوا قيامها لو اكتملت مستلزماتها .. وهذه الأوساط تلح على تطبيق قرار 986 لأن العقود التي وقعها الصناعيون المصريون منذ ستة أشهر في بغداد ما زالت معلقة عدا عن انتظار دفع تعويضات العمالة المصرية التي غادرت العراق إبان أزمة الخليج.

أما بالنسبة لسوريا فهي تتعامل بخوف وحذر مما حصل في كردستان لأن الأحداث هناك أضعفت نفوذها في كردستان وعززت من النفوذ التركي المنافس. كما أنها تخشى كلما أعيدت المسألة العراقية إلى الواجهة أن يدخل المسار السوري – الإسرائيلي في عملية السلام إلى أبعد مما هو فيه حالياً من دائرة الإهمال والتحنيط.

أما إيران، فقد تحاشت التورط في النزاع، لأنها تعتقد أن هناك احتمالاً كبيراً، أن تتم تحت دخان زوبعة العراق، عملية ما ضد إيران .. وستكون أية إجراءات يتخذها الأمريكان ضد إيران مريحة لكثير من دول المنطقة، ولن يبكي أحد الإيرانيين إذا ما تعرضوا لضربة عسكرية أو اقتصادية أو قرارات عزل أخرى من جانب الولايات المتحدة ودول التحالف الغربي، غير أن ذلك لا يعني إطلاقاً أن الإيرانيين تخلوا أو سيتخلون عن تقديم الدعم المادي

والعمليات والسياسي لحلفائهم من الأكراد العراقيين ..وأغلب الظن في هذه اللحظة أن كل الأطراف تعرف أين تقف الآن.

لا يوجد أحد من اللاعبيين في حالة نسيان اللحظة القلقة والمرتبكة التي يعيشها، لكن كل طرف يحاول أن يعزز مواقفه في انتظار مواجهة سياسية أكثر تعقيداً مما حصل حتى الآن.

سيقول آخرون، كيف ظلت الولايات المتحدة تراقب من السماء عمليات الذبح للذين كانوا يتعاونون معها على الأرض من المعارضين العراقيين في أرض كردستان، الحقيقة أن كثيراً من الأوساط الأمريكية لم تكن تمنع في التخلص من عبء المؤتمر الوطني العراقي وأمثاله .. فقد شكلت هذه التنظيمات عبئاً على الولايات المتحدة بسبب الفشل الذريع الذي منيت به أعمالها، والكلفة العالية التي تحملها الأميركيان من ورائها، وبسبب سلسلة من الأكاذيب التي كانوا يعلبونها ويصدرونها إلى الأميركيان، كالقول بأن لديهم القدرة على التحسس داخل العراق وداخل التنظيمات العسكرية، أو ادعاء وجود مريدين لهم داخل العراق وخارجه ، ووصل الأمر ببعضهم أن قدموا لوائح بأسماء ضباط صوروهم على أنهم أعضاء في تنظيمات عسكرية سرية تعمل داخل العراق، ثم اكتشف بعدئذ أن أولئك الضباط كانوا أسرى حرب في أحد معسكرات الأسرى في حرب الخليج.

لا أريد أن أفرع رأس بعض قيادات المعارضة هذه المعارضة التي عوملت من قبل أمريكا كعمالة رخيصة، حالهم كحال الخادومات الآسيويات يجمعون المعلومات ويستخدمون في مراحل ثم يلفظون كما تُلْفِظ جميع الأشياء الزائدة التي لا يحتاج إليها السيد في مرحلة تالية.

الأمريكان لم يكونوا من السذاجة ليعتقدوا بأن هذه الواجهات الهزيلة قادرة على التغيير في العراق، وسيكون من المفجع لو اعتقد الأميركيان أن هؤلاء العراقيين – الذين غادروا بلادهم قبل ثلاثين سنة عندما كانت أعمارهم في عمر المراهقة، ولا يعرفون ما هو العراق الآن، ولا يعرفون أسماء عوائله وعشائره وطوائفه لا بل إنهم لا يعرفون أسماء شوارع في بغداد – سيأتون ليقدموا البديل لمجتمع مسيّس وصعب مثل المجتمع العراقي لا يقبل الوصاية من هؤلاء المستشرقين الجدد الذين يتعاملون مع المسألة العراقية كما يتعامل أي مستشرق مهتم بالشأن العراقي، بالتعالي وبالتعصب، فقد انتقلت العيوب الموجودة في النظام الشمولي في العراق إلى جسد المعارضة ، ودائماً كما يقول ابن خلدون (الضحية تقلد الجلال)، فالمعارضة التي ترى أن قريتها أكبر من كل القرى، وعرقها أكبر من كل الأعراق، وطائفتها أكبر من كل الطوائف، لا تبشر بالحل الذي يستحقه العراق للخلاص من المعاناة من القهر في الداخل والحصار من الخارج. وفي كل الأحوال لم أشأ أن يكون ذوبان المعارضة المعلبة في الخارج أحد العوامل التي تستحق البحث كعامل أساس في هذا العرض الأولي لما أفرزته معركة كردستان لأن الذي سيحصل هو ولادة بديل سياسي آخر على أنقاض المعارضة.

## مروان دودين :

الوضع في العراق عجيب ويخضع لعدة احتمالات وسيناريوهات، مثل أن يكون البارزاني قد أخذ الضوء الأخضر من الولايات المتحدة واتصل بالعراق (الدولة المركزية) حتى يدخلوا (أربيل) لأنه ربما تكون هناك أجنحة أخرى مختلفة لا يعرفها البارزاني ولا يعرفها العراق، هذه الأجنحة ربما تكون أحد مقوماتها ارتفاع سعر البترول من 18 دولاراً حتى يصل إلى 25 دولاراً ويستقر، وذلك حتى تمن الولايات المتحدة على إخواننا في الخليج وتقول لهم : ادفعوا الفواتير فنحن رفعنا لكم سعر البترول ؟

يضطر الشخص أحياناً أن يهزل في حيرته في تفسير ما يجري في العراق إلى أمور قد تكون مثل الضرب في الودع.

فما العمل ؟ الواقع أن الأخ سعد أثار نقطة، أتمنى أن تكون صحيحة، وهي أن مسعود البارزاني أراد أن يكون (المنقذ والأمل) للعراقيين، ومنذ القدم نشأت بين الأكراد المسلمين وبين العرب العراقيين بشكل خاص علاقات ممتازة، ويا حبذا أن يكون هناك من جديد مثال لصالح الدين أو شئ من هذا القبيل.

هل من المعقول هذا الذي يجري في العراق الآن ؟ نجتمع بكوادر عراقية مذهلة في أدائها وفي كلامها، وفي الحقيقة نشعر أن الشعب العراقي منبثق من حضارة ومن تاريخ عريقين فنجلس مثلاً مع الأنباري أو البزاز أو مع الأستاذ رياض القيسي، فتشعر بأنك تجلس مع أشخاص متميزين فهل هؤلاء الأشخاص كانوا يتحولون إلى أقزام عند القيادة وعند الرئيس ؟

صحيح أنك –أستاذ سعد– عرضت الأمور بشكل جيد وهائل جداً، ولكن لو تعطينا توضيحاً بسيطاً حول علاقة البترول واقتصاد في هذه المسألة، لأنني أشعر بهاجس نحوها، لأنها يمكن أن تكون Bibroduct مهمة جداً أكثر من أمور أخرى تفضلت بها، ومن ناحية ثانية، حبذا لو تقول لنا ماذا تقترح، فماذا نفعل وغلى متى سيبقى هذا البلد العظيم في هذا المأزق الموجود فيه.

## فالح الطويل :

بداية أريد أن أعلن اتفاقي مع ما جاء به الأستاذ البزاز حول دور مصر وسوريا وإيران، هذه الأدوار الصغيرة و ليس لها أية قيمة فيما يخص المسألة الكردية. ولكن أنا وقعت في حيرة وإنز كانت مختلفة عن حيرة الأستاذ مروان دودين، فلقد حاولت أثناء بحثك أن اتبع خطياً واحداً متصلاً لأربط فيه كل ما تحدثت به حول العراق، فأنت وصفت ما يجري داخل العراق، لكنك لم تضع اللوم، وما الذي يستطيع أن يفعله العراق في هذا الوقت.

مثلاً لم تبدأ بالحقائق الأساسية، هي أن العراق قد هُزم، وعندما حاول أن يقاوم ضرب ثلاث مرات، مرة ضربت دائرة المخابرات بصاروخ نسفتها من الأساس ثم ضرب عند حربه مع الكويت ثم ضرب الآن، وهو محاصر في الوقت الحاضر.

واضح جداً أن الولايات المتحدة حتى الآن لم ترد إسقاط الرئيس صدام حسين، وهي تريد أن تبقى العراق وحدة كاملة أمام إيران، وتريد أن يظل متماسكاً حتى لا يقوى النفوذ الإيراني على جنوب العراق.

ما الذي يستطيع أن يفعله العراق بالقيادة الحالية؟ فصدام حسين هُزم وقبيلهُ، وعندما كان يعارض كان (يُضرب)، وشعبه يحاصر أكثر. والمعارضة لا تستطيع أن تسقط النظام العراقي، ربما لأن الولايات المتحدة لا تريد للمعارضة أن تسقط النظام العراقي وربما تريد الولايات المتحدة أن (تبرّكيب) على المعارضة في الشمال العراقي وهذه واحدة من الحقائق.

أما الحقيقة الأخرى فهي أن الولايات المتحدة لا تريد بترول العراق لأنه لديها كميات كافية من البترول الذي يأتيها من الجزيرة العربية، كما أن الولايات المتحدة تستطيع أن تطلب من السعودية زيادة الإنتاج من (5) مليون برميل حتى (15) مليون برميل. وتستطيع الولايات المتحدة أن تنزل سعر البرميل من 18 إلى 10 وحتى إلى 5 دولار. وهي تتحكم لا بالإنتاج فقط وإنما بودائع البترول، وهي تستطيع أن تطلب من السعودية ودول الخليج أن تضع عوائدها من البترول في بنوك أوروبا وأمريكا أي في جمهوريات الـ Dollar-Petro التي تنشأ في الغرب.

الحقيقة الأخرى، أن صدام حسين والقيادة العراقية، قام بعمل فرصة تاريخية ولا أعرف هل هذه الفرصة جاءت بالصدفة أم بتخطيط، على أي حال كان هناك خط كبير جداً فأمسك صدام حسين بهذه الفرصة وهي دخوله إلى (أربيل) وطرد الإيرانيين و المعارضة العراقية، ولم يبق إلا مسعود البارزاني (حليف المستقبل).

أعتقد أنه هدف جدير بالعراق، أي أن يفتح حواراً مع الولايات المتحدة وعلى الولايات المتحدة أن تقبل بذلك! فإذا استطاع مسعود البارزاني أن يقنع الولايات المتحدة بالحديث مع العراق لفك الحصار وإنهاء سلسلة طويلة جداً من الإهانات المستمرة، والإذلال المتواصل أعتقد أن البارزاني يكون قد فعل شيئاً مهماً، أما إذا لم يستطع البارزاني أن يفعل ذلك فيكون على الأقل قد حيد شمال العراق قليلاً عن الصراعات الداخلية.

هناك حقائق ثابتة فيما يخص شمال العراق، وهي أنه لن تقوم فيه دولة كردية، لأن وجود دولة كردية في شمال العراق ستكون ضد إيران مرة وضد سوريا مرة، وضد تركيا مرة ثالثة. إذن هناك اتفاق شامل من جميع القوى بأن لا تقوم دولة كردية في شمال العراق، وإنما يكون هناك شبه كيان، ليس له صفة قانونية.

ما أردت أن أقوله، هو إننا نريد منهجاً واضحاً جداً بخصوص العراق، بحيث يضع سلسلة الأحداث المتناقضة (أو التي تبدو متناقضة) في خط واضح يمكن التعامل معه. أعتقد بأنه الآن تغيرت السياسة الأمريكية، ربما تغيرت في الأشهر الأربعة الأخيرة، وإذا ما نجح كلينتون في انتخابات الرئاسة فإنه سينفذها.

ونسأل هل من مصلحة إسرائيل تقسيم العراق؟ نعم من مصلحة إسرائيل تقسيم العراق، وربما توسيع منطقة الحظر في جنوب العراق من خط عرض 32 إلى خط عرض 33 لإتاحة المجال ليكون هناك دولة في جنوب العراق تحت سيطرة الولايات المتحدة، لماذا طلب للثرو من مسعود البارزاني أن لا يتحدث مع صدام حسين، الأمريكان جاءوا لحماية الأكراد ولكن الجميع يضرب الأكراد، نستنتج من كل ما سبق أن القضية هي تقسيم العراق ولو استطاعت أمريكا أن تجمع الحلفاء حولها لقسمت العراق.

الآن جميع المصالح تختلف مع مصلحة الولايات المتحدة، الكويت أخرجوا منها العراقيين، في الكويت هنا عشرات وربما مئات ملايين الدولارات وياليت من الممكن أن تستفيد منها الدول الغربية أحيلت جميعها إلى أمريكا، فرنسا خرجت لا شيء، بريطانيا خرجت بلا نظام صدام حسين فإن العقود في العراق ستؤول بعضها إلى فرنسا وبعضها إلى بريطانيا؟ أردت أن أقول مرة أخرى تمنيت أن يكون هناك نهج نستطيع أن نسلك فيه جميع الأحداث باتجاه واحد حتى نستطيع فهمه.

## صالح القلاب:

أولاً: المشكلة أن الحكم في العراق غير معترف بأنه انهزم، وأن هناك عرباً حتى الآن غير مصدقين أن هذا الحكم انهزم، ولا زال هناك بعض الأشخاص يتحدثون عن أم المعارك والمنازلة الكبرى .. الخ.

حقيقة، ما أردت أن أسأل عنه ولم يتطرق له الأستاذ سعد البرزّاز هو قصة الاستيعاب المتبادل، فأنا أعتقد أن قرارات الرئيس صدام كلها خاطئة، فقد اعتقد الآن إنه إذا ما عرض نفسه كقوة فإن ذلك من مصلحة الولايات المتحدة ولذلك كان له تصريح يقول فيه "نحن قوة رئيسية في المنطقة"، فهو لا يزال يلح بأن يلعب دور الاستيعاب تجاه إيران.

ثم إن صدام قرأ موقف تركيا بشكل خاطئ، فقد اعتقد أنه بسيطرته على شمال العراق سيريح تركيا من حزب العمال الكردستاني وتوأمة على شمال العراق فهو راهن على موقف تركيا، وتشيلر قالت قبل يومين في مقابلة لها مع (نيويورك تايمز) بأنها أوحى للعراق بأنه لا مانع لديها من أن يسيطر على شماله (والحقيقة أن تركيا لا مانع لديها من أن يسيطر العراق على شماله، ولكن هناك الضبع الأمريكي واقف لهم) والحقيقة أن تركيا اليوم سحبت كلامها حيث قالت إنني لم اقل ذلك، بالعكس نحن مع الحماية للأتراك.

صدام أيضاً قرأ الموقف الكردستاني بشكل خاطئ، ففكر بأن هذا ابن الملا مصطفى البارزاني يستطيع أن يضعه في جيبه)، وهذا غير ممكن بالنسبة للأكراد، حتى وإن عادوا للحكومة المركزية لا يمكن أن يسمحوا لصدام بذلك، وتركيا لن تسمح للبارزاني أن يكون نائب رئيس فعال في العراق وإيران كذلك، فأول تصريح لرفسنجاني وهو في جنوب أفريقيا: "إذا كان هناك أية نوايا لإقامة دولة كردية فسنقاومها ونسقطها بالقوة"، وإيران دولة غير ضعيفة وقادرة.

## د. خالد عبيدات:

بصراحة، أريد أن أتساءل حول ما هو الشيء الموجود في العراق والذي يجعل منه مركزاً للتدخلات الخارجية؟ هل هو النظام العراقي؟ هل هو خبرات العراق؟ أم هل هناك مخططات خبيثة ويعبر عنها بهذه التدخلات الخارجية ويغطاء شرعي؟

هل الشعب العراقي عنده الإمكانية أو عنده القدرة بأن يعبر عن ذاته تجاه ما يحصل أم أن الهون طاحن أكثر بكثير مما نتصور، بحيث شلّ شعب العراق وشلّ داعمو العراق أيضاً؟

أريد أن أقدم اقتراحاً لمحاولة إدماج الأوضاع في العراق، أتصور بان الأمة العربية قادرة أن تعمل شيئاً الآن لحل المسألة في العراق، صحيح أن الأمة العربية تعاني من خلافات كثيرة لكن ما هو الطريق لكي نقف بجانب العراق حتى يتمكن من أن يعبر عن رأيه بصراحة؟

## د. نظام بركات :

تخطر بذهني مجموعة من التعليقات، فكرة الجرثومة أو جرثومة الديمقراطية والتي أشرت إليها، وأن البارزاني يمكن أن يقدم نفسه كنموذج مؤثر في النظام السياسي العراقي، فهل تعتقد فعلاً أن البارزاني ديمقراطي؟ وأنه يمارس وسيمارس الديمقراطية في كردستان، هل البارزاني في كردستان ديمقراطي ويؤمن بالتعددية الحزبية؟

حتى هذه الفكرة (الديمقراطية في كردستان) تتناقض مع فكرة التمدن والتحضر، فكردستان ذلك المجتمع الذي لا يوجد فيه لا حضارة ولا مدنية، كيف يمكن أن ينشأ الديمقراطية المبنية على التعددية وعلى حقوق الإنسان وغيره؟

هناك نقطة ثانية، استعرضت سياسة بعض الدول في موقفيها حول التطورات الأخيرة والمسألة الكردية مثل سوريا، إيران، مصر .. الخ لكن هناك موقف مهم جداً تم التغاضي عنه، وهو موقف الأردن. ألا تعتقد أن الأردن كان له دور كبير في القضية العراقية؟ وما رأيك بالموقف الأردني والدور الذي يمكن أن يلعبه في العراق؟

نقطة أخرى حول تدخل الولايات المتحدة لحماية الأكراد، في ذهني أو أتوقع أن جلال الطالباني أو الاتحاد الوطني مدعوم من سوريا وإيران، كان هذا ظني، وأتوقع أنه على علاقات غير جيدة مع الولايات المتحدة، وبالمقابل أمريكا هي التي تدعم مسعود البارزاني.

## البزاز :

اسمح لي يا دكتور، أمريكا لم تعد تعمل فقط مع وكلائها التقليديين، إنما مع الجميع، فحتى الخصوم الفكريين هم عناصر يمكن التعامل معهم ..

### د. نظام بركات :

يعني على افتراض، بأن النزاع هو بين الطالباني والبارزاني، فأنا أعتقد أن الأقرب للموقف الأمريكي هو مسعود البارزاني وانتصاره يعتبر انتصاراً لأمريكا.

## البزاز :

هذا في منطق الستينات، أما الآن فقد تعقدت اللعبة.

### د. نظام بركات :

أريد أن ألغي قضية الأكراد، والتدخل الأمريكي لا علاقة له بالقضية الكردية وإنما له علاقة بالعراق. سأنتقل إلى ما تحدث به الأستاذ فالح الطويل، والأستاذ خالد عبيدات، حول ما هو المطلوب من العراق ؟. الموقف الأمريكي في كردستان لا علاقة له بالقضية الكردية وإنما له علاقة بالعراق، وهنا أريد أن أشير إلى موضوع مطلوب أن يعزل العراق ويستمر ضربه حتى يبقى خارج نطاق العملية السلمية وبغض النظر عن يحكم العراق. لأن العراق بقوته العسكرية والإقتصادية إذا ما عاد للصف العربي قد يقلص من الهوة في المعادلة واستمرار ضربه وعزله مرتبط باستمرار العملية السلمية في الشرق الأوسط ولا علاقة له بالقضية الكردية.

### د. ذياب مخادمة :

الحقيقة الإخوان الذين سبقوني، أثاروا عدداً من النقاط، ومنها أن الوضع الحالي للأكراد والحكومة المركزية في بغداد غير قابل للاستمرار لسببين : السبب الأول هو الديمقراطية والسبب الثاني هو الانفلات الأمني، وهناك بالطبع العوامل الخارجية والأوضاع التي يضطر أن يلجأ إليها النظام. الواقع أن الديمقراطية التي قامت، لا تختلف في جوهرها عن الديمقراطية التي عملها صدام حسين في بغداد، مثلاً مسألة الانتخابات وانتخابات المجلس الشيعي .. الخ فإذا حسم البارزاني الوضع لصالحه فسيقيم نظاماً شاملاً لا يختلف كثيراً عن الوضع الموجود في بغداد، ومسألة الانفلات الأمني ستعالج في هذه الحالة وبالتالي كل المعطيات تشير إلى مسألة استمرار الوضع. بالإضافة إلى ذلك، هنالك العوامل الخارجية، فتركيا من مصلحتها استمرار الوضع لإنجاز استقرارها في شمال العراق، ناهيك عن المصالح الاقتصادية، وبالتالي استقرار الوضع لصالحها. صحيح أن الوضع في شمال العراق تاريخياً غير مستقر، فالهدف المركزي للأكراد، هو إقامة دولة كردية، ولكن لا يوجد أي طرف دولي أو محلي مع تحقيق هذا الهدف، ولكن يقي الوضع في شمال العراق ووضع الأكراد فيه بشكل حالة متقدمة قياساً بأوضاعهم في الدول الأخرى. أنا أعتقد أن الوضع قابل للإستمرار، ولكن الوضع في المنطقة كلها غير قابل للإستمرار والإستقرار.

### د. أحمد نوفل :

في الواقع، أريد أن أركز على قضية التوقيت، توقيت دخول القوات العراقية لمساعدة الأكراد في (أربيل)، هل هذا التوقيت جاء بناء على تحضير عراقي، أو جاء بناء على موقف أمريكي أو كردي أو بناء على أية أطراف إقليمية أخرى ؟ أنت قلت أن السبب في دخول العراق لـ(أربيل) هو محاولة النظام العراقي التحرر من الهزيمة، أي أن العراق كان مخططاً لهذه العملية، ولكن في نفس الوقت وفي مجلة NewsWeek في آخر عدد لها، توجد مقالة مهمة

جداً حول ربط دخول القوات العراقية لمساعدة البارزاني في (أربيل) بمحاولة انقلابية فاشلة ضد النظام العراقي، وكان المفروض كما جاء في هذه المجلة أن يحدث الانقلاب في نهاية شهر حزيران الماضي لكن النظام العراقي اكتشف المؤامرة الفاشلة في الشهر الخامس (لا أعرف ما مدى صحة هذا الخبر، لكنه منسوب إلى بعض المصادر بالإقليمية و (A.I.C)، بعد اكتشاف المحاولة قامت القوات العراقية بالدخول إلى الشمال لملاحقة ذبول المحاولة الانقلابية والقبض على العملاء. إذن بالنسبة للعراق، الدخول إلى (أربيل) هو مبني على خطة من أجل القبض على العملاء كما أشرت، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو قضية العملاء الموجودين في شمال العراق، فعندما دخلت القوات العراقية إلى شماله، قامت الولايات المتحدة بمساعدة هؤلاء العملاء بالخروج من العراق، أعتقد أن هذا بداية خطة أمريكية تكتيكية جديدة في المنطقة. وأربط ذلك بردود الفعل (لما حدث في شمال العراق وخاصة ردود الفعل العربية، مثل السعودية ودول الخليج وكذلك رد فعل الأردن، هذه الردود الفعل المختلفة أظهرت موقفاً منسجماً بتأييده للعراق، ليس على المستوى الشعبي فقط وإنما على المستوى الرسمي كذلك، حتى الكويت، فالشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية، رفض بداية وجود قوات أمريكية في بر الكويت ثم تراجع عن هذا الموقف، ولكن بشكل عام هناك تناغم وانسجام في موقف العرب في التدخل، وهذا يدل على وجود استراتيجية جديدة في المنطقة. وهذا أربطه أيضاً بالموقف الدولي، موقف بريطانيا وفرنسا والصين وروسيا، فأنت قلت بأن الولايات المتحدة تعتبر أن الموقف الدولي قادر الآن على الحل وعلى أساس أن يكون موقفاً لمحصلة التحالف الغربي، ولكني أعتقد أن الولايات المتحدة عجزت حقيقة أو فشلت في اتخاذ موقف دولي موحد، وأيضاً موقف عربي من هذه القضية، لكن بقي سؤال هل هذا الموقف العربي المشترك (وهي دول عربية صديقة للولايات المتحدة) هل هو نابع من موقف عربي داخلي أم أنه منسق مع الدور الأمريكي الجديد في العراق؟

#### د. أحمد القاسم :

حسب فهمي لما تفضل به الأستاذ سعد، فإن النظام العراقي باقٍ، لأن هذا ما تريده القوى الخارجية وهذا مبين من تصريحاته، ولكن هذا يدعوني إلى سؤال : إذا كان لا يعجبني النظام الموجود حالياً، فلماذا أحافظ على وحدة ترابه ؟

السؤال الثاني، النظام الوحيد والقادر على الخروج من الوضع الحالي (لأنه يعتبره التزام عليه) هو النظام العراقي الموجود حالياً، أو بصورة غير مباشرة تعطينا مثلاً على أنه القادر على الخروج من الوضع العراقي الراهن ؟

الشيء الأخير والذي تفضلت به، هو أن جميع الأطراف تعرف الآن أين تقف. ولكن العملية الأخيرة والتي حصلت في (أربيل)، كانت (بالون) اختبار، بمعنى وضع جميع الأمور في بوتقة واحدة ثم وضعها تحت النار حتى تخرج في النهاية بنتيجة معينة وتعرف من هو الطرف الأقوى، ثم تستطيع إما أن تتعامل معه حسب قوته أو أن تحجّمه وتقزّمه بالطريقة التي تريدها. هذه النقطة التي ربما كان الأمريكيان يريدون الوصول إليها.

إذا دخلنا في الأسلوب التحليلي، فإن العامل الحاسم هو عامل الزمن، فعامل الزمن قد يكون أساسياً في الموقف الأمريكي، وكذلك في الموقف العربي، وأنا هنا أتفق مع الدكتور نوفل، فالموقف العربي لم يتطرق له بشكل واسع، وإنما مجرد فلاشات، فقد تحدثت عن دور سوريا ومصر واعتبرت أن البلدين ينطلقان من مصلحة قطرية فقط وليس من مصلحة قومية شاملة على المستوى العربي، فلو تكرمت بأن تحدثنا حول هذا الموضوع بشكل أوسع. النقطة الأخيرة والتي أريد أن أركز عليها (بحكم تخصصي كإقتصادي) هي الموارد الإقتصادية الموجودة في العراق منذ بدايات القرن الحالي وبالطبع النفط في طبيعتها، وأعتقد أنها العامل الحاسم في الصراع بالمنطقة ككل بغض النظر عن النتائج السياسية التي تراها، فحبذا لو توسعت بهذا الدور أكثر، خاصة وأن كل الاكتشافات الجديدة للنفط هي في العراق، وبعض المصادر تقول بأن العراق هو الذي يملك الاحتياطي الأكبر حتى الآن. وإذا أخذنا العامل الديمغرافي، وهو عامل الأكراد وعددهم الآن حوالي (30) مليون نسمة، موزعين في أربع بلدان، هؤلاء إذا ما تجمعوا، فاعتقد بأنه سيكون لهم دور ليس على صعيد المنطقة فقط، وإنما حتى على البعد الأوسع وهو روسيا وأوروبا.

#### سمير حباشنة:

شكراً أستاذ بلال، وشكراً أستاذ سعد على هذا العرض الغني والمعقد، وأريد أن أتحدث بنقاط سريعة.

أول نقطة، أعتقد -أستاذ سعد- أن العراق بشكله الحالي، يمثل وضعاً نموذجياً للإستراتيجية وللمصالح الأمريكية، ولا أعتقد أن هناك لاعبين في ملعب العراق سوى الولايات المتحدة، أما باقي الدول فهي تحاول أن يكون لها دور.

ذهبت مع وفد شعبي، قبل أن تبدأ حرب الخليج بعشرة أيام، ذهبت لإيطاليا فقبل لنا وهذا ما سمعناه من الحزب الشيوعي الإيطالي وكان في أقوى حالاته، ومن الحزب المسيحي أيضاً وكان أيضاً في أقوى حالاته قالوا لنا : أنتم أخطأتم في الجهة التي جئتم إليها يجب أن تذهبوا إلى واشنطن، فإذا قررت الولايات المتحدة ضرب العراق، فسوف نضربه جميعاً معها.

النقطة الثانية : شاركت قبل سنتين في وفد برلماني أردني، وكنا ضيوفاً على الكونغرس الأمريكي، وتحدثنا مع رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي حول ماذا تريد الولايات المتحدة من العراق، أو المطالب الأمريكية من العراق.

وقلت له مازحاً أذهب وخذ العقول العراقية حتى ننتهي من مشكلة العراق ؟

فرد رئيس لجنة الشؤون الخارجية : من قال لك أنه ليس المطلوب أن نأخذ العقول العراقية، وقال أن أخذ العقول العراقية هو جزء من الأجندة الأمريكية. فأنا أعتقد أن هناك لاعباً واحداً هو الولايات المتحدة، وأن الوضع الحالي في العراق هو النموذج المثالي بالنسبة لأمريكا ولن يتغير إلا إذا تغيرت المعادلة الدولية أو تغيرت النظرة الأمريكية بالنسبة للعراق.

أما بخصوص تقسيم العراق والموقف العربي منه، وكما تحدث الإخوان أنا أعتقد أنه ليس من مصلحة العرب تقسيم العراق، فلو نظرنا لدول الخليج بما فيها الكويت، فإن تقسيم العراق معناه دولة شيعية على حدود الكويت، وستكون ذات امتداد إيراني، وهذا يشكل خطراً، إذن فالوضع الحالي بالنسبة للعرب أفضل بكثير من وجود دولة شيعية على حدود الكويت والخليج.

أما بالنسبة للأردن، فهناك إعادة نظر في موقف الأردن لترميم أخطائنا في السنة الأخيرة بالنسبة لموضوع العراق وان شاء الله يكون كذلك وأنا أتحدث من زاوية المصالح الأردنية.

بالنسبة إلى ما أشار إليه الإخوان، عن إبعاد العراق عن العملية السلمية، العراق قبل سنتين حاول أن يجري اتصالات مع أمريكا من خلال البوابة الإسرائيلية والولايات المتحدة اكتشفت ذلك، وقالوا للإسرائيليين هذا ليس وقتهم ولا تلعبوا مع العراق خارج معلوماتنا وخارج توجيهاتنا، فمن يقول بأن العراق محاصر حتى تسير العملية السلمية، أنا لا أؤيده، فالعراق إذا انفك عنه الحصار وسواء تحت نظام صدام أو غيره سيذهب للسلام مع إسرائيل.

النقطة الأخيرة وهي استفزاز للفكر العربي، نحن نتعامل دائماً وكأنه أمر مسلم به بأن تبقى هذه الأمة الكردية مظلومة ومجزأة، فلماذا لا يكون هناك حق للأكراد بدولة مستقلة، أنا لا أطرح هذا الموضوع على السياسيين فقط لكن أطرحه على الفكر العربي.

## د. فوزي تيم:

موضوع الحلقة هو المسألة الكردية، ولكن الطرح الذي قُدم كان نوعاً من الإضاعات أو الأسئلة دون إجابات، وربما تركت لنا لنستكشف الإجابات أو ربما تكون هذه الأسئلة أو الإضاعات لا يمكن الإجابة عليها.

الاستفسارات التي أريد أن أطرحها، أولاً فيما يتعلق بما جرى بشمال العراق، فهل ما جرى في شمال العراق هو حل للمسألة الكردية. من زاوية البارزاني، بمعنى هل أراد البارزاني أن يقوم بحل المسألة الكردية، إبتداءً من العراق ومن ثم في المناطق الأخرى .. وهذا يعني هل هو لاعب أصيل أم لاعب تابع ؟ في تصوري أنه من الصعب أن يفكر منفرداً كلاعب أصيل في حل المسألة الكردية على اعتبار أن المسألة الكردية بحاجة إلى لاعب مثل تركيا وإلى لاعب مثل إيران.

الاستفسار الثاني هل التدخل العراقي في الشمال، هو حل عراقي ونتيجة لما آلت له حرب الخليج، بمعنى أن العراق أراد أن يلطم الكبرياء التي انهارت في حرب الخليج ؟ من جهة أخرى الهواجس التي تفضلت بها، هواجس تركيا وإيران والتحالف الغربي، فرنسا وروسيا بشكل رئيسي، ألم تشعر بإطار السيطرة الأحادية الأمريكية وفي إطار أن المتغير الأمريكي هو المتغير الأساسي في الفعل في تلك المنطقة ؟

من ناحية أخرى، ما يتعلق بالانتخابات الأمريكية، من الصعب أن تكون مسألة الانتخابات الأمريكية في إطار مجازفة وفي قضية صعبة مثل القضية العراقية – الكردية، وهي قضية طال أمدها إلى حد ما وطال الألم وكأنها مسألة لا سلم ولا حرب، وبالتالي تدخل الرئيس الأمريكي والقيادة الأمريكية الحالية بمحاولة لتكوين متغير في الانتخابات الأمريكية قد تأتي بنتائج سلبية. طبعاً هنا الجمهوريون يستطيعون أن يستفيدوا من ورقة الانتخابات لأن الرئيس الأمريكي الديمقراطي لم يحقق أهدافه في المنطقة على الأقل بإسقاط النظام أو بإخضاع المنطقة إلى حرب جديدة.

التصور الآن، وهذا مجرد استفسار إضافة إلى الاستفسارات التي طرحتها يبدو أن هناك سيناريو لحل الأزمة، هذا السيناريو بالضرورة ستقوده الولايات المتحدة خشية أن تفلت الأوضاع من يديها، فما هو هذا السيناريو (إن كان هناك سيناريو) وربما هذا يؤرق الموقف العربي؟

## طاهر العدوان:

إن تناول الوضع العراقي من الزاوية السياسية هي شئ بعيد عن الصواب في الوقت الحاضر، وأنا أتابع كل ما يكتب وكل ما يقال عن الوضع في العراق، وهو رأي نوع من التحليل السياسي ليس إلا، فالعقدة العراقية متشابكة، وكل تحليل يتناولها من خلال الوضع الذي يقف عليه المحلل، والزاوية التي ينظر منها للوضع العراقي، لكن رغم هذا التناقض الكبير في الموقف العراقي، إلا أنه توجد ثوابت، دائماً في كل مشكلة، هنالك ثوابت وهنالك متغيرات، فأنا أعتقد أن القضية العراقية فيها ثوابت وفيها متغيرات. أحد هذه الثوابت، نحن لسنا أمام وضع عراقي، فيه نظام مركزي يسمى نظام ديكتاتوري أو نظام مستبد .. الخ وبالمقابل هناك معارضة قوية، هناك حرب أهلية إلى ما شابه ذلك، نحن لسنا أمام هذا الوضع، فلو كنا أمام هذه الصورة لاستراح العرب كثيراً وعرفوا مع من يقفون، مع هذا الجانب أو ذاك.

حتى الأكراد يظلمون إذا اعتقدنا أنهم سيقومون الديمقراطية في العراق، فبعد الدعم الأمريكي والأوروبي والغطاء الجوي، ودعم الأمم المتحدة، وكل الجهد السياسي الذي بذل على مدى ست سنوات، وبعد كل ذلك فشل الأكراد في إقامة تجربة يمكن النظر إليها على أنها تجربة إيجابية للشعب الكردي وفشلوا في إقامة نموذج للشعب الكردي، فكيف سيقدمون النموذج الإيجابي الديمقراطي للشعب العراقي؟ هذا دور أكبر منهم بكثير وهم عاجزون عنه بشكل كامل.

من الثوابت أيضاً، أن هناك متصارعين وحيدتين في ساحة المعركة، هما النظام العراقي والولايات المتحدة في المقابل، لأنه لو كان الهدف الكويت لانتتهت المشكلة عام 1991.

لكن من يتابع الأزمة، يلاحظ أن الولايات المتحدة تتبع سيناريو مختلف وأنا أخالف من يقول أن هنالك سيناريو حول الأزمة العراقية، بل هنالك سيناريو تصعيد أمريكي للأزمة، فأمریکا لا زالت في مرحلة البحث عن وسيلة لإسقاط الرئيس صدام حسين، هذه الوسيلة جربوها من خلال المناطق الكردية ثم جربوها من خلال مشروع الفيدرالية، وجربوا كل الوسائل ولكنها فشلت، وهم لا زالوا يبحثون عن وسائل جديدة. فالولايات المتحدة لها هدف واضح نحو العراق لكنها غير قادرة على وضع البني التي تساعد على تحقيقه. الهدف الأمريكي هو تقسيم العراق بأية صورة، فالفيدرالية تقسيم العراق، وإبقاء المشكلة الكردية بدون حل هو تقسيم، (المشكلة الكردية حلت بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من الحرب، عندما وقع البارزاني ولم يوقع الطالباني). كل الحديث عن أن أمريكا لا تريد تقسيم العراق، هو حديث ليس له أساس، فما دامت مصالحهم مؤمنة، وما دامت أساطيلهم قادرة على الإمساك بمفتاح النفط في المنطقة، فلا يهم أمريكا حتى لو تقسمت جميع الدول العربية.

كلنا متعاطفون مع الأكراد، لكن الأكراد غير قادرين على إنقاذ أنفسهم، وربما أحد أوجه مشكلتهم أنهم كقومية لم يظهروا في الوقت المناسب، فعندما تفسخت الدولة العثمانية وظهرت القوميات في الشرق الأوسط، لم يظهر للأكراد زعامة قومية تطالب بالاستقلال، ولذلك بقوا تاريخياً بدون قيادة، وبدون حتى إحساس باللحظة التاريخية، وفي النهاية توزعوا بين دول المنطقة.

أمريكا الآن، لا تستخدم المشكلة الكردية من أجل حقوق الإنسان الكردي وإنما في مواجهة بغداد ومن أجل خدمة استراتيجيتها الشاملة في العراق والمنطقة. أما إذا كانت الإستراتيجية الأمريكية مترددة أو غير مترددة أو أنها ناجحة أم فاشلة، فهذا موضوع آخر.

السؤال هو لماذا نشبت الحرب في العراق؟ حرب الخليج ومن هم أطرافها؟ وما هي أهدافها؟ الحرب نشبت في الخليج لأسباب أخرى لا علاقة لها بالكويت وإنما لأسباب لها علاقة بالأهمية الإستراتيجية للمنطقة نظراً لوجود النفط فيها، وأطرافها هي الولايات المتحدة من جانب والعراق من جانب آخر ولذلك حرصت الولايات المتحدة على استلام قيادة وتكوين السيناريو بعد الحرب، ايكبوس مهمته أخطر من مهمة القوات الأمريكية التي نزلت في الكويت وضربت العراق، وقرارات الأمم المتحدة التي وضعت تبيح التدخل الأمريكي في أي وقت وعلى مدى طويل باسم حقوق الإنسان وغيره، هي جزء من الحرص على إبقاء السيناريو العراقي دون حل، فأمریکا لا تريد أي حل في العراق، وهي لا تريد حلاً لأسباب كثيرة جداً منها ابتزاز الخليج، والإبقاء على وجودهم العسكري وأمن إسرائيل .. الخ.

نحن نختلف دائماً على ماذا تريد أمريكا! ولكننا لم نسأل ماذا يريد العراق؟ ومثلما قلت لا يوجد طرف في المعارضة قادر على قيادة المهمة الوطنية في

العراق، وكل الذين في المعارضة العراقية ليسوا ديمقراطيين، ماذا نريد من العراق؟ العراق فيه حكومة مركزية، ما دامت توجد حكومة مركزية، فيجب أن تفرض سيادتها على أرض العراق. انهزمت، أذلت، أذعنت، قالت عن نفسها منتصرة، فمن مهمتها أن تحافظ على وحدة العراق وأن تستعيد السيادة عليه.

ما هي مهمتنا نحن العرب؟

أنا برأيي أن أول مهمة لنا نحن كعرب، هي الوقوف مع العراق للتخلص من الحصار الأمريكي، التخلص من سياسة التوتر في المنطقة، وبعد ذلك مسألة الديمقراطية في العراق، ومسألة الأكراد في العراق.. الخ.

كل ذلك يبقى من الشؤون الداخلية العراقية، وإذا كان العراقيون بأنفسهم غير قادرين على حلها، فلن تحلها أية قوة في الدنيا، هذه مشكلتهم هم في بلدهم.

ونحن كنا ننتمي للمعارضة، وعشنا في الخارج، وبعد عشرين أو ثلاثين سنة، عدنا والنظام الموجود نفسه بقي موجوداً، في الشرق الأوسط مهما حصل من إذاعات وتعددية حزبية وتجربة ديمقراطية في الشمال الكردي، لن يؤثر على بغداد، بيروت لم تؤثر على دمشق، الذي يؤثر على دمشق هم أهل دمشق، ومن يؤثر على بغداد هم أهل بغداد، وأنا معك يا أخ سعد، حاولت أن أستقي من كل الرموز والأسماء التي كانت في مؤتمر المعارضة، منهم من غادر العراق سنة 1956، أو سنة 1958، إنهم كما تقول مثل المستشرقين بالنسبة للقضية العراقية.

#### د. عبد المجيد الشناق:

لدي سؤال يحيرني حقيقة، بما أنك عراقي من المعارضة.. سؤالي بسيط جداً ومحدد، هل تستطيع أن تحكم على أن صدام حسين بأنه خائن للمصلحة الوطنية العراقية؟

#### د. إبراهيم عثمان:

أنا أعتقد أن هناك تحولات في الموقف الأمريكي مصدرها من داخل أمريكا، الموقف الأمريكي متأثر بالقوى الخارجية طبعاً، لكنه يتأثر أيضاً بالقوى الداخلية، لأن هناك جماعات مصلحة مؤثرة في أمريكا، وهي المؤسسة العسكرية والمؤسسة الاقتصادية والمؤسسة السياسية. في السنة الأخيرة بدأت تظهر رموز من المؤسسة الاقتصادية تنتقد السياسة الأمريكية بالنسبة للعراق ليس بسبب النفط فقط وإنما يتعلق الأمر أيضاً بمستقبل العراق كسوق للبضائع والخدمات الأمريكية، وذلك كحل جزئي للمشكلة الاقتصادية الأمريكية، وأنا أعتقد أن هذا البند في تحويل القرار السياسي الأمريكي بالنسبة للعراق، وبالتالي القرار الأمريكي أيضاً سيكون المحافظة على وحدة العراق لكن بنظام جديد قد يكون ديمقراطياً أو تعددياً أو غيره وستعمل على فك الحصار تدريجياً لكن بشرط أن تكون المصالح الاقتصادية الأمريكية مصالحة في العراق.

#### السيّاز:

يبدو وكأنني سأبدأ من جديد، وأنا سعيد بما استمعت إليه من أسئلة وتعليقات، في الحقيقة لم أقدم حلاً في البداية ولن يكون من اللائق بالنسبة لي أن أقدم حلاً، كان عليّ أن أقدم أرضية مبنية على معلومات لتشكّل أساساً لرؤية مقربة للأحداث.. وقلت في البداية إنني سأبدأ من نهاية الواقعة دون العودة إلى جذورها ومسبباتها، لذلك حاولت تقديم وصف للوضع القائم من غير إطلاق للأحكام.

بالنسبة لملاحظة الدكتور عبد المجيد الشناق أكرر بأنني لست جزءاً من التنظيمات السياسية المعلبة في الخارج.. بل أنا عراقي يكتب تاريخ المنطقة، ويشغل بالسياسة، يتقاطع في كثير من الأحيان مع الحكم في العراق وسواه، ويتقاطع في قضايا كثيرة مع تنظيمات المعارضة العراقية في الخارج، ليس ثمة كاتب معارض أو غير معارض، هناك على الدوام كاتب حقيقي وآخر غير حقيقي.. فأنا شاهد على التاريخ واشتركت في صناعة أجزاء منه، واطلعت على بعض الأحداث والآن أكتبه، من هذه الزاوية فإن ما تستمعون إليه من آراء لا يمثل دكاناً سياسياً من هذه الدكاكين الموجودة. الموضوعات التي طُرحت كثيرة وحيوية ومهمة جداً، دعنا نبدأ من الأستاذ طاهر العدوان.

إنكم تساهمون في تكوين الرأي العام بحكم مواقعكم الأكاديمية والإعلامية، من هنا أريد أن أسأل هل يعني الوقوف مع العراق -كقضية دولة تطالب ببقائها موحدة سيادةً وتراباً وشعباً، وكقضية شعب يخضع لأبشع عقاب جماعي - تبريراً للسياسات الخاطئة في بغداد؟ إذا لم يحصل التفريق في هذا اللبس فإن البعض منا لا يقف في الحقيقة مع شعب مستلب مقهور هو الشعب العراقي.

نحن من الجيل الذي سار مع هذا الحكم نحو مشروع النهضة، لكن هذه المشروع تناقص إلى أقل من مشروع القبيلة والطائفة والمدينة ليصبح قضية أصغر من ذلك بكثير.. سرنا خلف مشروع بناء دولة العدالة والتنمية والقانون فإذا بنا نجد أنفسنا في لجة الظلم والقسوة وأحكام الإعدام وإلغاء الحريات ..

إذا كان الدفاع عن القضية العراقية تبريراً للاستبداد فهذا عمل مناقض لمصالح الشعب العراقي الذي بات ضحية الأحادية والقسوة في الداخل وضحية العقوبة الجماعية من الخارج، لو أراد الرئيس صدام حسين أن ينقذ ما يمكن إنقاذه لاستعاد شعبه لصالحه، فكل الذي حصل كان على العكس من ذلك، فقط طغى دور المؤسسة الأمنية بعد انتهاء الحرب بخلاف ما كان ينبغي أن يحصل.. ورُكنت مسودة الدستور الدائم للبلاد على الرف، وازدادت العقوبات ضد قادة الرأي غلاظةً وقسوة.

الكويت والأكراد ليسا عاملين في صنع السياسة الدولية وليسوا موضوعاً في صنع السياسة الدولية، إنما هما، من موقعين مختلفين، ساحتان لتشغيل السياسة، ميدانان للعمل، فهل يضيع العراق بسبب عامل ثانوي؟

لقد كان بإمكان الحكم أن يستعيد الشعب بعد الهزيمة، وأنا متمسك بمفردة الهزيمة وعلى هذا الحكم أن يتحمل نتائج هذه الهزيمة، لكنه لم يفعل.. لقد ضاعت كرامة العراق وحقوقه، ويحاول الحكم الآن أن يستعيد بيده ما ضاع على يديه حتى لا يترك فرصةً للآخرين أن يتقدموا للإنقاذ. سنذهب بعيداً ونقول الحقيقة بأن المعارضة الحقيقية في العراق موجودة في بنية الحزب و الجيش و الدولة.. وبلدة تكريت نفسها، وهذا يعني أن العراقيين يريدون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وبحقوق تماثلة.. ففي أي مكان من العالم هناك قدرٌ من الاستشارة، قدرٌ من المعقولية، قدرٌ من المصالحة و التسامح.. فأين ذلك في العراق.

لم تعد الشعارات تطعم خبزاً أو حرية أو كرامة، إنذارٌ أن ما ندعو إليه هو حرية العراقي في العراق وليس حرية الآخرين في أوطانهم، فما دام شعبنا غير حر في وطنه لن يكون هناك أي معنى للدفاع عن حريات الآخرين خارجه.

لا يوجد عراقي واحد يحب الأمريكي أو يحب الأجنبي، بالغريزة يرفض ذلك، حتى هؤلاء الذي عملوا مع الاستخبارات الأمريكية لا يحبون الأمريكيين أعماقهم، لكن من الذي دفع بعض العراقيين للتوهم بأن الحرية يمكن أن تأتي من فوق ظهر البوارج.. لقد برر الظلام والظلم هذا الوهم.. وهذا الإثم. القضية العراقية قضية محلية أولاً.. والمفروض أن أستعيد شعبي وأوقف عقوبة الإعدام على الرأي.. وأشيع العدالة وألغي القيود على حريات البشر واعترف بالتداول السلمي للسلطة وحق الاقتراع الحر، وأنداك سيتحرر العراق من الداخل ولن يضيره استمرار العزل من الخارج مهما طال الزمن.. وهل يجوز أن يعيش العراق بدون دستور دائم وهو أقدم دولة في المنطقة ولديه أعرق هيكلية إدارية بعد مصر وهل يجوز أن ينتفي دور القضاء لصالح محاكم خاصة غير مقيدة بقانون.. حقاً هل يجوز للعراق الذي عمره 10 آلاف سنة أن يبقى بعد ثلاثة عقود بلا دستور يحدد الحقوق والواجبات؟ إن عواطف العرب نحو العراق مقدسة ودفاعهم عنه مفهوم تماماً، لأنهم يدافعون عن أنفسهم قبل أن يدافعوا عن هذا البلد، فأمن العراق ركيزة في أمن العرب، وهو ليس من الدول المجهرية أو الطارئة، بل على العكس فإنه من الدول النادرة التي لها تاريخ طويل وعريق وله أحقية أن يلعب دوراً كبيراً.. عندما يكون فيه عشرة آلاف مهندس، فإن هؤلاء المهندسين حتى إنزل تعطهم دوراً فسيصنعون أرقى الهياكل ولو حجرتهم في زنزانه أو عزلتهم في الصحراء فسيصنعون من الرمل شيئاً كبيراً.. هذه طبيعة الأشياء وهذه نزعة الخلق.. وقد أدى تراكم التعليم مع وجود الإرادة إلى التطور المادي الكبير وإلى قيام التصنيع فيه، من هنا فإن هؤلاء الذين بنوا العراق ودافعوا عنه وجعلوه عزيزاً في كثير من المواقف لهم دورٌ ويجب أن يُعطى لهم، ولن يتحقق ذلك قبل أن تسقط شرعية الانقلاب وشرعية الشعارات وشرعية الحزب الواحد.

لا بد أن نميز بين قضية مشروعة اسمها العراق يعاقب الناس فيه على الهوية، بحيث يظهر أحد الكتاب المصريين ويصف العراقيين بـ (الكلاب) لأنهم ارتضوا بصدام حسين، ويتشجع كاتب إيراني ليقول إن أهمية العراق لا تزيد عن أهمية (تشاد) لولا وجود النفط فيه، ويأتي ناقد ليعلم أن العراقيين لم يكونوا رواد الشعر العربي الحديث وأن هذه الريادة لم تخرج من العراق بل خرجت من مصر.. هذا انتهاز للحظة مختلة من التاريخ يُقصد منه معاينة شعب على الهوية. أنا أقاوم هذا التيار، لكن هذا لا يعني أنني أبرر أخطاء الحكم في العراق.

أما لماذا نشبت حرب الخليج، جواباً على سؤال الأخ العدوان، نعم نشبت الحرب على خلفية القرارات السياسية الخاطئة. كان من الممكن أن تنشب بعد عشر سنين أو أن لا تنشب، وقد تكون حرباً محدودة، أو ضربة محدودة، أو أن يكون هناك حظر اقتصادي على العراق، أو لا يباع القمح إليه بسعر ميسر ويتجمد القرض الزراعي الأمريكي.. ربما دولة تساعدك ودولة لا تساعدك. لماذا أُعطي المتربصون بالعراق فرصةً مثالية لضربه.. وهل نذهب إلى حرب ونحن لم نسترح بعد من حرب كانت قد استمرت ثماني سنوات.. لم يكن الجنود قد تمتعوا بفرصة استعادة الحياة حتى يُعيدوا تكوينهم. فقد حاربت عشرون وجبة من المواليدي في مواجهة إيران، وبانتهاء الحرب كانوا يريدون أن يستعيدوا لحظة السلم التي وعدوا بها بعد ثماني سنوات جمدت الحياة لأن الطاغوت الإيراني كان موجوداً ويهدد العراق. يوم انتهت الحرب، كان عليك أن تدعني أتنفس.

على الحكم أن يدرك أنه لا يتعامل مع قطيع بل يتعامل مع شعب واعٍ، منذ 2 (آب) 1990 ولغاية الآن غادر ثلاثة مليون عراقي وطنهم ليس لأنهم أعداء للعراق أو لأنهم وكلاء للمخابرات الأجنبية.. لكن لحظة البحث عن الحرية والأمن والعدل دفعتهم للذهاب إلى المجهول في المنافي.. عندما تحدثت عن (الديمقراطية) فهذا لا يعني أنني أتبنى الممارسات الخاطئة والدموية التي جرت في كردستان خلال السنوات الخمس الماضية، وإنما قصدت أن بعض الأوساط الكردية طرحت نفسها بهذه الطريقة، وكل الأوصاف التي أعطيتها لها عن (ديمقراطية) الأكراد صحيحة وأنا متفق معكم عليها. وهم كأني ضحية يقلدون الجلال، كان عناصر حزب مسعود البارزاني إذا اعتقلوا أحداً من المؤيدين لجلال الطالباني، أو عندما يحدث العكس، فإنهم يقطعون الأذان ويجدعون الأنوف بالطريقة نفسها التي كانت تحصل في العاصمة.

أما ما يتعلق بالموقف من القضية الفلسطينية فإن الذي حصل هو أن قضية العراق ضاعت على خلفية شعارات تحرير القدس.. وأدى ذلك إلى تبدل عميق في أولويات الوجدان الوطني ولم يعد العراقيون يهتمون بأي شأن خارج مسألتهم، لأن ترميم وضعهم في الداخل يحتاج إلى عقود، ويبدو أنهم غير معنيين في الدخول بصراع آخر خارج مسألتهم الداخلية على الرغم من أنهم كانوا على الدوام ينظرون بكثير من التقديس للقضية الفلسطينية.. لكن ذلك كان قائماً يوم كان لديهم متسع لبحثوا في ما هو أبعد من مشاكلهم المباشرة..

العنصر الوحيد الذي يمكن أن يكون نقطة استقطاب في مستقبل العراق بصدام أو بدونه هو الكويت (وهذه مسألة معقدة تستحق لوحدها معالجة معمقة..) إنزّلن يجرواً سياسي عراقي في المستقبل على إخضاع العراق لعقوبة التعويضات أو القبول بالرسم الجديد للحدود و الاستسلام لبقية شروط الإذعان.

فالقضية الفلسطينية وعملية السلام ومستقبل الصراع بين العرب وإسرائيل لم تعد من الأولويات في مفردات الأدب السياسي العراقي الموجود في الحكم والموجود في الصفوف الأخرى.

المعارضة أجرت اتصالات مع إسرائيل، والحكم أوفد من الناس من يجتمع مع الإسرائيليين. فلا توجد عقدة من الاتصال مع الإسرائيليين وليس من الصواب أن نقول إن العراق يعاقب الآن حتى يُبعد عن عملية السلام. على العكس العراق يُستخدم من قهبل الإسرائيليين في الضغط على سوريا، وكلما كان المسار السوري - الإسرائيلي يتلأأ أيام حزب العمل كان الإسرائيليون يبيثون خبراً حول دمج العراق في عملية السلام بقصد الضغط على السوريين. وثمة حقيقة أخرى يدركها السياسيون جيداً هي أنه لا يمكن إنجاز مشاريع مشتركة في عملية السلام بدون العراق، وأطرحها من خلال المثال التالي، وهذه فيها مصلحة وطنية عراقية حقيقية، أنت تريد أن تعمل شبكة مواصلات في المنطقة مثلاً، لا يمكن لهذه الشبكة أن تنتهي إلا ببغداد، وكذلك الحال بالنسبة لمشاريع المياه والمشاريع البتر وكيماوية، حيث أن البنية التعليمية والصناعية تؤهل العراق للاندماج بمشاريع مشتركة، عقود الكهرباء توقع الآن في المنطقة تبقى عقوداً ناقصة دون العراق، فلا بد أن يكون العراق جزءاً أساسياً في شبكة المياه والكهرباء والصناعات التكميلية.. والمسألة الآن هو أن بعض الأمريكيين والإسرائيليين يعتقدون أن اندماج العراق بعملية السلام هو مكافأة.

بالنسبة لنفط العراق و ثرواته، قد لا أضيف شيئاً جديداً إذا قلت بأن العراق يملك ثاني احتياطي نفط في العالم، ويملك أول احتياطي في العالم من الكبريت وكميات غير محددة من اليورانيوم و ثروة مائية هائلة مكونة من النهرين العظيمين ولديه البنية التعليمية القادرة على التشغيل، وعند البنية الصناعية القادرة على بناء صناعات مكملة تعتمد على هذه المواد الأولية، غير أن الذي حصل بعد انتهاء الحرب زاد الأمور تعقيداً، عندما أدرك الحكم بأن أهم سلاح لديه هو النفط، مع وجود مكامن هائلة غير مستثمرة، فبدأت عملية مغازلة واسعة للأمريكان لاستقدامهم إلى العراق، غير أن الشركة الأمريكية الوحيدة التي جرى الاتصال بها كانت شركة ثانوية اسمها Company Oil Coastal لأن مديرها هو الذي اشترك في صفقة إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين إبان أزمة الخليج. وحصل اتفاق مع الفرنسيين على إنتاج مليون و 250 ألف برميل من النفط في حقلين هما (مجنون) و (نهر)

عمر) ، إلى جانب الاتفاق مع الروس على حقل (القرنة) ، وتمت دراسة الجدوى الاقتصادية لاستثمار النفط في مكامن غرب العراق والتي تعتبر من أكبر المكامن في البلاد، وقد توزعت كل هذه المكامن بين الروس والفرنسيين وهناك مفاوضات مع الطرفين، حتى بدأ للأمريكان أن رفع الحظر اليوم معناه منح الفرنسيين والروس عقوداً هائلة ، وبدلاً من أن يستخدم هذا الأمر لفك الحصار فإنه غداً عاملاً مساعداً بالنسبة للسياسة الأمريكية لإبقاء الحصار على العراق.

الأسئلة التي أثارتموها مهمة جداً ، ولكن قبل أن ننتهي أقول نعم دعونا نبحث في كل شيء حتى الذي يبدو منه محرماً بما في ذلك البحث في الدولة الكردية.. دولة كردية ؟ ولهمب لا ؟ ينبغي أن نفهم أن العراقيين هم آخر من يستبشع فكرة قيام الدولة الكردية إذا لم يكن ذلك على حساب مصلحة العراق ..

الخيارات المطروحة لحل المسألة الكردية ثلاث : حكم ذاتي / فيدرالية / دولة كردية.

الحكم الذاتي ليس جديداً حيث يعود لأول اتصال بين الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والملك فيصل الأول سنة 1920 عندما فشلت حرب الشيخ محمود في السليمانية. وآخر مفاوضات حول الحكم الذاتي كانت في آب 1991 بين كل من السيدين مسعود البارزاني وجلال الطالباني من جهة والرئيس صدام حسين من جهة أخرى.

الخيار الآخر هو الفيدرالية، الذي طرحه مسعود وجلال وهو إعلان كيان مستقل ثم إعادة دمج الجزء بالكل ، بمعنى تمزيق كيان قائم ثم إعادة دمج ما تمزق من أشلائه ..

الخيار الثالث هو الدولة الكردية ، .. وبالمقارنة يبدو أن الدولة الكردية أقل خطراً من الفيدرالية بالنسبة للعراق، فلو حصل -افتراضاً- واعترف العراق بدولة كردية بدون (كركوك) ، يعني أن يقبل بوجود دولة بدون نفط فإن هذه الدولة ستكون الأخ الصغير أمام الدولة الكبيرة في بغداد، وستكون ساحة عمل للعراق في نطاقه الإقليمي بدل أن تكون المسألة الكردية قنبلة ملقاة على العراق، ستتحوّل هذه القنبلة لتتنشّط في إيران وتركيا بدل أن تنفجر في العراق كل يوم .. ولذلك فإن العقل السياسي النخبوي يثير مثل هذا الموضوع كخيار يُقصد به التخلص من المشاكل ونقلها إلى الآخرين .. وإذا طرح هذا البديل فإن الأكراد سيقبلون الحكم الذاتي آنذاك بدلاً عن دولة تستجلب عقوداً أخرى من عدم الاستقرار ..

ولقد حصل أن وصف البارزاني اتفاقه الذي كان مرتقباً مع الحكومة المركزية بأنه (أكثر من حكم ذاتي وأقل من فيدرالية) .. وجاء هذا الوصف مما تسرب عن مضمون محادثاته مع بيللتر في أنقرة .. نعم دائماً هناك شيء أقل من شيء وأكثر من شيء آخر .. هناك بدائل .. ولك أن تختار منها لا أن تختار من بينها أجزاء لم تعد قابلة للخلط .. ما نراه اليوم هو نتيجة الفوضى وعدم الاستقرار وعدم بلوغ أحد لأهدافه الأساسية .. لكن دعونا نرى ماذا سيحصل في الآتي من الأيام .. عندما يعود الإحتراب الكردي .. وتكون هناك معالجات أمريكية جديدة للمسألة العراقية .. وقضية الأكراد .. وأشكركم.

## بلال التل :

شكراً للأستاذ سعد البراز وشكراً لكم وحتى نلتقي تصبحون على خير.